السنة الثالثة عشرة | العدد ٥ | ايار سنة ١٩١٠

المشرق

مدافن برج حمُّود وسن الفيل

للاب راول دبريب اليسوعي احد اساتذة مكتبنا الطبي

في شمالي شرقي بيروت على مسافة كيلومترين منها وراء نهرها يوجد في ارض لبنان قريباً من قريتيْ برج حمُّود وسنّ الفيل بعض مغاور منقورة لدفن الموتى. فهذه المدافن تستحقّ ذكرًا كآثار لبنانيَّة قديمة فخصصنا لوصفها بعض صفحات المشرق

اذا وصلتَ الى كنيسة برج حمود المعروفة بمار دومط فملتَ من الشمال الى الجنوب قاصدًا سنّ الفيل لا تلبث ان تبلغ الى آكام قليلة الارتفاع ترى في اعلاها على خطّ مستقيم في طول كيلومتر او كيلومترين سلسلة صخور كلسية راقية الى الطور الجيولوجي الثانوي. وهذه الصخور على شكل صفائح واسعة ممتدَّة في بعض انحناء وهي ذات صلابة الَّا انّ تحتها طبقات كلسيَّة متفتّتة يختلط بها شيء من الحوارى الصلصاليَّة البيضاء فهناك أغوار تكوَّن بعضها بفعل المياه وحفر بعضها الآخر الاهلون لاستحضار الكلس الحجري فصارت كأسراب اتّخذوها بعد ذلك كمدافن الموتى

*

واوّل هذه الاسراب موقعهُ على مسافة نحو عشرين مترًا من كنيسة مار دومط كان له مدخل مسدود منذ سنين عديدة. فلمَّا عرف المهندس عبد الله افندي طعمه باني ابحث عن المغاور المجاورة دلَّني الى منفذ آخر تغطّيه الاشواك كان اهل القرية اشاروا به اليه كمنفذ الى سرداب سرّي موقعهُ على جانب الطريق المؤدية من بيروت الى جنينة الباشا واسفل منها بنحو متر ونصف

فلما رأيت هذا المدخل لم أُعرِهُ بالاً ثم عدتُ فأعتبرتهُ بتأنٍ فرأيتهُ مركّباً من الصخر الكلسي الشبيه بالصخور المنقورة التي وجدتها في جوار الناحية فاستنتجت من ذلك انَّ هناك ايضاً غوراً يتّصل تقريباً على خط مستقيم بمدافن قديمة كنتُ وقفتُ عليها. فبعد البحث وسَبر المكان تحقّقت وجود المغارة. ثم عدتُ اليها بعد ايام وسعيتُ في تنظيفها وفتحها فأمكنني الولوج اليها ومعرفة حقيقتها

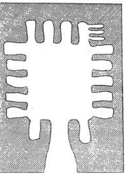
وكان على الباب ركامٌ من الحجارة والاطلال فبعد نزعها ولجنا الى باطن المغارة فاذا هي قاعة واسعة مربعة مستطيلة مسقّفة وكلها منقورة في الطبقة الصخريّة الصلصاليّة المارّ ذكرها . وحول هذه القاعة قد حُفرت ايضاً في الصخر بنظام ست عشرة غرفة مدفنية صغرى يُدخل اليها من القاعة الكبرى اربع منها في وجه الداخل ثم خمس على يمينهِ وخمس على شمالهِ واثنتان على جانبي المدخل كما ترى في الصورة الاولى (ص ٣٢٣)

والقاعة الكبرى طولها تسعة امتار في عرض سبعة. والغرف الصغرى طول الواحدة منها ثلثة امتار في عرض متر وسنتيمترين. وفي احدى هذه الغرف الصغيرة على سواء الارض ثلثة أضرحة منقورة على شكل عمودي بالنسبة الى طول الغرفة وكل ضريح طولهُ متران وخمسة سنتيمترات وعرضهُ ٨٠ س . وعليهِ يكون تكسير مساحة المغارة ١٢٠ متراً مربّعاً على التقريب

ثم انَّ علوّ كل غرفة يبلغ متراً ونصف متر امّا الاضرحة فعلوّها ٦٠ س. وسقف القاعة الوسطى علوهُ متران و ٢٠ س فوق الحضيض الحالي وشكلهُ كالعقد فيهِ استدارة خفيفة. وفي وسط السقف حجرٌ بارز امّا طبيعي وامّا صناعي فيهِ ثقبٌ باشروا بعملهِ كأنَّهم ارادوا ان يعلّقوا فيهِ شيئاً. وكان لهذا السّقف في اقصى بعدهِ عن المدخل كوّتان اعدّهما اصحاب المغارة كما يظهر لتغيير الهواء الّا انَّهما قد سُدّتا حديثاً لمّا فُتحت طريق العربيّات المارّة فوق هذه المغارة على علوّ متر او متر ونصف من سقفها. فالعملة سدّوا الكوّتين بحجارة كبيرة يراهما الناظر من داخل القاعة. وفي فصل الشتاء تسيل مياه الامطار الى المغارة نافذةً اليها من خلال السداد فتصبح شبه بركة كما ترى في الصورة الفوتغرافيّة التي رسمناها بعد امطار شهر آذار الاخيرة

وكانت جدران القاعة الكبيرة مطليّة بالملاط صوناً للصخر من التفتّت الّا انهُ بطول

الزمان قد تلف الملاط وتفتَّت الصخر وقد بقي شيءٌ من ذلك الملاط فتُرى عليهِ بعض النقوش الخشبية بلون كمِد وهي عبارة عن خطوط متوازية تراها فوق سقوف الغرف الثانوية



رسم مغارة برج حمُّود ومدفنها القديم

وقد وجدنا معظم تلك الغرف مملوءة بعظام الموتى فمنها ما كان متراكماً مختلطاً ومنها ما كان مبثوثاً بلا نظام خصوصاً في القاعة الكبرى ما يدلُّ على قلَّة اكرام نحو رمم القبور

ومن هذه العظام ما هو في تمامهِ والارجح أنها من جثث قُبِرت في المغارة ذاتها لم

ينالها شيءٌ من أذى تربة المقابر . وبعضها الآخر لاسيا المركومة منها في غرفتين او اللمحودة في قليل من التراب كانت سابقاً كما يغلب على ظننا مدفونة في المقابر ثمَّ نقلت الى هذا المدفن

ويؤيد ظني هذا ما بلغني من أنَّ اكتشاف تلك المغارة قد تمَّ اوَّل مرَّةٍ في عهد متصرف لبنان رستم باشا الذي عُني بفتح الطريق المارَّة قريباً منها فوجدوها ملأى من العظام القديمة . وفي اثناء ذلك صدر الامر بتحويل مقبرة ٠ار دومط الى محلٍ آخر فجُمعت عظامها وجُعلت في جبانة كنيستها المتيقة . الَّا انَّ تلك الكنيسة أُخربت بعد مدَّةٍ وبُنيت بدلًا منها الكنيسة الحديثة فنُقلت العظام من الجبانة الى المغارة ثم نقلوا ايضاً أطلال الكنيسة وبقاياها الى ما وراء الطريق فسدُّوا بذلك المدخل النافذ الى مدفن برج حمود

ومذ ذاك الوقت اضحت طريق نهر بيروت الى جسر الباشا احد متنزَّهات البيروتيين الشائقة فترى كل يوم عجلات الأسر الغنيَّة تقطع تلك الطريق ذهاباً واياباً فيُسمع صوت دواليبها فوق المغارة ويدوي في باطنها دويَّ الرعد . ولا خُيِّل لاولئك المتنزِّهين انَّ جلبة عجلاتهم تكاد تبعث من سباتهم الموتى المدفونين هنالك

*

دَعْنا نواصل السَّير من برج حمُّود الى سنّ الفيل . فبعد خمس دقائق ترى على وجه الارض رؤوساً نابتة من الصخور الكلسيَّة التي سبق لي عنها الكلام . فان تقدَّمت قليلًا رأيت في وسطها باباً وجهتُهُ الى الشرق وما ذاك الباب سوى مدخل المغارة الدفنيَّة الثانية التي نريد وصفها

وهذا المدخل كما تراهُ في صورتنا (عدد ٣) يُشبه مدخل المدافن الفينيقيَّة القديمة التي ترتقي الى العهد اليهودي الروماني ومثلهُ كثير في جهات فلسطين فواجهتهُ على شكل مربَّع متساوي الزوايا منقورة في الصخر قد قُوِّر وسطها فتُتح وعلى جوانب الفتح افريز من الحجر تُطبَّق عليه الصفيحة الكبيرة العموديَّة التي كانوا يتَّخذونها كباب

ويقرب هذا الصخر صخور أُخرى تُرى حولها وفي مقدَّمتها منحوتة ايضاً وذلك دليل على انَّ هناك وُجدت بناية شيَّدوها في مقدَّمة المدفن كأثرٍ أُقيم تذكاراً للموتى . ولعلَّ المغارة كانت مستندة الى دار أُخرى مأهولة . وهذا عندنا الارجح لأنَّنا وجدنا في هذا

الأكمة المشرفة على سنّ الفيل ستة بيوت غيرها قديمة منقورة في الصخر حول المدافن او قريباً منها كأنّ قدماء الاهلين كانوا يدفنون موتاهم بجوار مساكنهم او في داخلها

وهذه المغارة قياسها ستة امتار طولاً في مثلها عرضاً ولا يرتفع سقفها عن مدخلها الّا ارتفاعاً قليلاً . وهو كالسقف الذي سبق ذكره الّا انهُ يميل في انحناء حتى يبلغ الحضيض كأن الذين حفروا هذه المغارة تتبعوا تركيبها وانحناءها الطبيعي الذي هو في هذا المكان اعظم من سواه

امّا ارضها فكأرض المغاور الأُخرى المجاورة لها تنحدر الى اسفل والظاهر انّ الفلّاحين كانوا اتخذوها كبيت لدواجنهم فتراكمت على الحضيض ازبالها وفضلاتها حتى لم يبقَ شيءٌ من آثار القبور القديمة . ومع هذا ترى على جدرانها من الجانبين اطراف الاجران التي كانت توضع فيها اجساد الموتى

*

وعلى مسافة بعض الامتار من هذه المغارة على المنعطف الغربي موقع مدفن ثالث وهو داخل ساحة مسيَّجة لاسكندر افندي ابي عكر صاحب كرخانة سنّ الفيل لا يُرى في الخارج من امرهِ شيءٌ . فتمرُّ بحوش كانوا قديماً يصطنعون فيهِ الكلس المتصلّب في الماء وعلى يمينك اتون صغير مُهمل منذ عهد قديم وامامك رحى كانوا يدقّون فيها قطع الكلس لكنْ حركتها بطلت منذ سنين طويلة وعن شمالك بناية صغيرة من الواح كانت مخزناً . وفي اقصى الحوش باب حديث البناء يظنّهُ الناظر مدخلاً لآخور او لقبو

فدخلنا في هذا الباب واذا امامنا منظر مهيب ادهش عيوننا فبدلاً من الآخور او القبو الذي كنّا في انتظارهِ لاحت لنا مغارة عظيمة واسعة الارجاء مرتفعة السقف منوّرة بانوار خفيفة اخذ منظرها بمجامع قلبنا . ولعمري لو رأينا مغارةً كهذه في احد كهوف لبنان وفي باطن اغوارهِ لما كان اخذ منّا العجب مأخذهُ كما جرى لنا عند ولوجنا في هذه المغارة التي انكشفت لعياننا على بغتة في ارض لا تكاد ترتفع عن سواء الحضيض

وقياس المغارة ٢٨ متراً في الطول وعرضها ستة امتار . وسقفها اعلى من سقوف المغاور السابقة لكنهُ يختلف في ارتفاعهِ فتارةً يبلغ ستة امتار وتارة ينحني حتى لا يزيد على اربعة امتار وربّما قلّ عن ذلك . وهذا السقف الطبيعيّ البالغ السعة تسندهُ في وسطهِ سارية ويركز في اطرافهِ على الصخر الاصمّ الذي لم يُنحت عند حفر الغور

ومن اعتبر هذا الكهف العظيم حسبهُ مغارة سائحٍ او معتزل متعبّدٍ ممّا ألفهُ قدماء النساك في جبال لبنان وغيرهِ . ألّا انّ هذه المغارة لم يُبقِها سكّانها على هيأتها الأولى فانهم سعوا في تحسينها وهندستها وبرّروا جدرانها وازالوا نتوآتها وساوَوْا اوقابها ثم جعلوا على جدرانها ملاطاً ليقيها من آفات الزمان وكذلك مهّدوا حضيضها ووطأوهُ بمركّب من الحوّارى والتربة الصلصاليّة فصار المكان كحجرة رحبة اتخذها اصحابها في توالي الازمان كمعمل ثم كمحلّ صناعة لاستحضار صفائح البلاط ثم كمحلّ لتربية القزّ واخيراً كآخور وصوان للعجلات . وقد بقي من هذا الكهف سقفهُ على بساطتهِ القديمة وهيئتهِ الاثريّة شهادةً على اصله

قلتُ ان الباب الذي دخلنا منهُ حديث العهد الّا انّ مدخل المغارة لا يزال سالماً حَسَنَ الطالع وهو على صورتهِ الاصليّة بعد ترميمهِ نوعاً وهو مع ذلك في غاية الشبه لمدخل المغارة السابق ذكرها فانهُ على هيئتهِ التربيعيّة واقيتهِ وقد نُقر مثلهُ في الصخر وجُعل لدائرتهِ افريز ليسندوا اليهِ صفيحةً كصفيحتهِ عموديًّا . وفي هذا الشبه دليل قاطع على انّ هذه المناور من اصل واحد جُعلت لغاية واحدة . وما هذه المغارة الّا مدفن قديم وان فُقدت كل آثارها الدالّة على المقصود منها

وفي قعر هذه المغارة كما في مغارة برج حمّود كوّة واسعة لدخول الهواء ومن المحتمل انّ هذا الثقب قد وسّعهُ اصحاب المحلّ فجعلوهُ منفذاً مستديراً ليجري اليهِ الهواء من الخارج ويستضيء ساكنوهُ باشعّة الشمس

*

وقبل ان نختم هذه السياحة الاثريّة فلنلقِ النظر الى المدافن المتعدّدة التي تُرى في اعالي سنّ الفيل . فما يقال منها بالاجمال انها كلها على طرز واحد تكاد ابنيتها تتبارى ولبعضها مداخل لا يرتفع اعلاها عن حضيض الارض الّا انها مسدودة ما خلا مدفنين (انظر صورتها ع ٥ و ٦) عُزلت اطلالها فنقس عليهِ بقيّة المدافن . فترى المدخل مربّعاً يكاد يتساوى طولاً وعرضاً . والمدفن مسقّف فيهِ عادةً ثلاثة اجران لثلاثة من الموتى نُقرت في الصخر على ثلاثة جوانب الغرفة وجهة الباب فارغة وكان الباب يُغلق بصفيحة من البلاط عموديًّا كما تدلّ عليهِ الثقوب الباقية على دائرة المدخل . وهذه الغرف تكتنفها عادةً منازل يسكنها الناس . ولذلك قد سبق لنا القول بانّ هذه الاقبية

كانت مدافن اهليّة كما يقرّ بذلك الاثريون في حكمهم عن مدافن فلسطين . امّا عهد هذه الآثار فانّهم يرقّونه الى عهد مملكة اليهود والفتح الرومانيّ

وعلى طول المشارف الصخريّة التي تمتدّ عند سنّ الفيل تُرى بقايا قرية قديمة فهناك على مسافة كيلومترين آثار منازل منقورة في الصخر كانت تُؤهل بالناس بينها اقبية دفنوا فيها موتاهم . وهناك ايضاً صهاريج كانوا يجمعون فيها مياه الامطار بعضها كصهاريج الرومان على شبه زجاجات الخمر والقوارير مملّطة بالكلس المتصلّب في الماء وبعضها مربّعة تختلف اقيستها وكثيراً ما هي مطويّة في باطنها . وترى هناك بعض القبور المكشوفة على شكل النواويس نُقرت في الصخر الّا انّ اطباقها قد تلفت . وفي كثير من هذه المساكن حُفَر مستديرة قطرها من متر ونصف الى ثلاثة امتار منقورة ايضاً في الصخر كانوا يجعلون فيها المراجل او يركّبون المعاصر

وكل هذه الآثار قديمة بلا مراء غير انك لا تجد عليها كتابةً او رسماً او دليلًا ما تستند اليه لتعريف اصلها او زمانها بضبط . وممّا يرشد الى ذلك غير الادلّة السابق ذكرها من صورة المداخل وهيئة الصهاريج ما يُشاهَد على طرف تلك القرية القديمة جنوبًا فهناك فضاء واسع ترى فيه قطعاً من الخزفيّات الرومانيّة كالخزفيّات المكتشفة في اطراف بيروت او في جهات الرمل المجاور لها

وزيادة على ما مرّ بك دليل آخر على زمن تلك المغاور ما يوجد فيها من قطع الحجريّات التي ألِفها الرومان القاطنون في فينيقية . اما ملاط الصهاريج المذكورة الشبيهة بالقوارير فانّه كملاط الصهاريج الرومانيّة المكتشفة في هذه الجهات . وكذلك كعوب الفسيفساء فانّه يوجد منها كثيّة في الاماكن التي نبحث عنها وهي كقطع الفسيفساء التي كان الرومان يبلّطون بها منازلهم في هذه البلاد وفي رمال بيروت ونواحي المدينة كثير منها

فكلّ هذه الدلائل تؤدي بنا الى القول الراجح بانّ الآثار الموجودة في مشارف سنّ الفيل راقية الى عهد دولة اليهود وفتح الرومان . ومن هذه الآثار المغاور التي وصفناها آنفاً فلا بُدّ اذاً من ترجيح كونها من الوقت عينه

ثم انّنا نعرف ان المدافن الاهليّة كانت تعمّ جهات لبنان الّا ان الاغوار التي اتخذوها لهذه الغاية هي اقدم عهداً فدفنوا موتاهم حيث سبق غيرهم الى حفرها . وكثيراً

ما جعلوا تلك الاغوار كمستودع للعظام مما نقلوهُ من المقابر او اقبية الكنائس . كما ذكرنا في وصف مغارة برج حمّود . ولا جرم انَّ ابحاثاً جديدة تزيدنا افادة عن ذلك وتؤدي بنا الى تحديد زمن هذه الآثار القديمة

وما لا ينكرهُ أحد انَّ موقع برج حمّود وسنّ الفيل بين لبنان ونهر بيروت لمن احسن المواقع التي يستطيع سكناها البشر لطيب هوائها وبرودة نسيمها حتى في فصل القيظ فلا ريب انَّ الناس استوطنوها منذ سالف الأيام . وعلى ظنّنا ان بني آدم اتخذوا هذا المكان فاستعمروهُ قبل الزمن التاريخيّ في طور الظرّان والدليل على ذلك ما يوجد في منعطفي روابيهِ من أدوات الظرّان كالفؤوس الحجريّة والقاطع والشفار والنصال المحدَّدة والمساحي التي تُرى منبثّة في تلك الجهات فناهيك بهذا شاهداً على قدم سكنى الانسان في موقعها . والسلام

سلسلة اساقفة الملكيين

لحضرة الاب الخوري الفاضل الاب كيرلس شارون (تابع لما سبق)

انظر السنين السابقة من المشرق

٧ قارا

قارا مدينة قديمة في سوريّة الجوّفة وراء الجبل الشرقي شمالي النبك تبعد ثلاث مراحل عن دمشق كان لها كرسيّ اسقفيّ وقد ذكرها لوكيان في الشرق المسيحي (١ الّا انهُ لم يثبتها فدعاها *Ecclesia Comes Churrorum* . ونسب اليها اساقفة كانوا على غيرها كاساقفة لارسا وحرّان ومن مزاعمهِ انَّ اوَّل اساقفة قارا جيرنسيوس وقد بيّن كلزر (Gelzer) في تأليفهِ من آباء المجمع النيقاويّ انَّ هذا كان اسقفاً على لارسا وكذلك روى لوكيان بين اساقفة قارا المسمّى يوحنا وقد اشتبه عليهِ اسم كرسيهِ الاسقفي فرواهُ على صور شتّى لا يمكن تحقيقها . كما انهُ جعل في عداد اساقفة قارا احد مشاهير الكتبة الملكيين ثاودورس المعروف بابي قرّة وانما كان هذا كما ثبت اليوم اسقفاً على حرّان (دادا) لعلّهُ الاسقف الوحيد الذي ذكرهُ لوكيان فنستطيع ان ننسبهُ الى

١) اطلب كتابهُ (Lequien : *Or. Chr.*, II, 849—850.)

كرسي قارا . واسمهُ مع التصريح باسم كرسيهِ مدوَّن في جملة الآباء الذين أمضوا اعمال المجمع الخلقيدوني في آخر جلستهِ السادسة لكنَّهُ لم يحضرها وقد ناب عنهُ بالامضاء مطران دمشق ثاودوروس كما ترى في مجموع اعمال المجامع لمانسي (١ وامضاؤهُ على ما رواهُ لوكيان « Δάβα πόλεως Χονακάρων » وقد تصحّف ايضاً اسم المدينة في آخر رسالة امضاها دادا المذكور وهي الرسالة التي وجَّهها اساقفة دمشق الى ملك الروم لاون الأوَّل سنة ٤٥٧ فيدعى اسقف قارا هناك « episcopus Comoranus (٢ »

٢=٨ (كرستوفورس) في خزانة الكتب الشرقيَّة المصونة في المتحف البريطاني (٣ انجيل مخطوط بالسريانيَّة بالقلم الملكي ففي ظهر الصحيفة ١٦٢ كتابة بخط ميخائيل احد اساقفة قارا عاش على ما يظهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . وفي الكتابة يذكر اسماء ثمانية من اسلافهِ على كرسيِّهِ دون ان يعرَف زمانهم . وكل هؤلاء لا ذكر لهم في الآثار التاريخيَّة اللهم الّا واحد منهم المسمَّى اثناسيوس . واوَّل اسقف دوَّن ميخائيل اسمَهُ يُدعى كرستوفورس يليه اسطفان ثم يعقوب ثم لوقا ثم سمعان ثم سرجيوس ثم يوسف ثم اثناسيوس

٩ (اثناسيوس) المذكور في جدول ميخائيل السابق قد ورد ذكرهُ ايضاً في ورقة تُرى اليوم ملصوقة على احد مخطوطات خزانة القبر المقدَّس (٤ . والمخطوط المذكور عددهُ ١٠٨ ومحلّ الورقة في الصحيفة ٨١ وهي مكتوبة باليونانيَّة الّا انَّ لهجتها عاميَّة كثيرة الاغلاط . ولنا شاهد آخر على اسقفيَّة اثناسيوس (٥ المذكور تجدهُ في كتاب الانجيل الموصوف آنفاً الذي فيهِ جدول ميخائيل . فهناك توقيع باسم اثناسيوس مع تاريخ ذلك التوقيع في ٨ (؟) آذار سنة ١١٣٦ م

١٠ (ميخائيل) هو صاحب الكتابة المتضمّنة لقائمة اساقفة قارا . وزمانهُ يُعرف

---

١) اطلب مجموع اعمال المجامع لمانسي (Mansi : Collectio Concil., VII, 169)

٢) راجع مانسي (Mansi, VII, 559)

٣) Fonds Syriaque, n° 250

٤) اطلب تقويم تلك الخزانة (Catal. de Papadop.—Kerameus, II, 526) في المخطوط اليوناني المذكور في وجه الصحيفة ١٦٣

٥) في وجه الصحيفة ١٦٣ من مخطوط لندن

بالترجيح اذ قام خلفاً لاثناسيوس اعني في اواسط القرن الثاني عشر او في قسمه الاخير

١١ (اثيموس) في الانجيل السرياني الملكي السابق ذكرهُ كتابة لاحد اصحاب اثيموس اسقف قارا يقال فيها انّ اثيموس هذا توفي في ١٧ تشرين الثاني من السنة ١٢٥٩

١٢ (يوحنا) جاء ذكرهُ في كتابة معلّقة على المخطوط اليوناني الموسوم بعدد ٥٣٤ من مخطوطات القبر المقدّس (١ في ظهر الصحيفة ٦٠ يقال في تلك الكتابة انّ وفاة يوحنا اسقف قارا حدثت يوم الثلثاء في ١٠ ايار من السنة ١٤٢٩. واسمهُ مذكور ايضاً في آخر كتاب سواعيّة مخطوط بالقلم السرياني الملكي في برلين (٢ في وجه الصحيفة ٢٥٨ كما يأتي: « كتبهُ الحقير في الاحبار حنا اسقف.. » وقد سقط اسم المدينة وهي قارا بلا شكّ لانّ الكتاب وُجد في دير عطيّة قريباً من قارا وتاريخهُ يوافق زمن يوحنا اسقف قارا

١٣ (مكاريوس) يُستدلّ على اسقفيّتهِ وزمانهِ من كتابين مخطوطين بالسريانيّة والقلم الملكيّ في خزانة كتب برلين احدهما عددهُ ٣١٦ ورد في آخرهِ كتابةُ مكاريوس اذ كان اسقفاً على قارا. والكتاب الآخر عددهُ ٣٠١ مكتوب في احدى صحائفه في ظهر الصحيفة ١٩٤ انَّهُ تمَّ في ١٠ آذار سنة ١٤٧٨ في ايام مكاريوس المذكور. ولم يقع اذن موته الّا بعد هذا العهد

١٤ (*) خُتم الكتاب السرياني الملكي المصون في برلين تحت العدد ٣٠٣ بكتابة عربيّة بالشمر المائي في ظهر الصحيفة ١٥٩ منها كتابة مؤدّاها انّ كاتبه « ابراهيم بالاسم كاهن ابن اخت اسقف قارا في السنة ١٥ — » فالتاريخ كما ترى غير كامل لا يمكن قراءتهُ الّا ٧٠٤٥ (١٥٣٧) للمسيح. اما ابراهيم المذكور فمن المحتمل ان يكون هو الكاتب المسمّى باسمهِ الذي خطّ في هذا العهد مخطوطات اخرى وهناك يدعو نفسه « ابراهيم ابن مكاريوس اسقف قارا ». ولعلّهُ غيرهُ لانهُ هنا لا يُذكر اسم الاسقف ويدعو نفسهُ « ابن اخت » الاسقف ليس ابن الاسقف ومن ثم يكون الاسقف غير مكاريوس

١) اطلب خزانة كتب (Pap. —Kerameus. II, 579)

٢) اطلب تقويم مخطوطات برلين السريانية للعلامة ساخو (Cat. Sachau, N° 299)

١٥ (يواصاف) عند جناب الكاتب الاديب حبيب افندي زيات (١ قنداق (κοντακάριον) كتبه بيده يواصاف اسقف قارا يوم الاربعاء في تشرين الثاني من سنة تاريخ آدم ٧١٣٩ (١٦٣١ م) . ثم جمع يواصاف المذكور كما سترى اسقفية مدينتي صيدنايا وقارا وتوفي سنة ١٦٤٦ او ١٦٤٧

١٦ (غريغوريوس حدّاد) كان اصلهُ من دير عطيَّة ثم صار كاهنًا عالمًا بوضع ايدي البطريرك كيرلس طاناس الذي دعاهُ مثّى ثم ترهَّب في دير المخلّص حتى سقَّفهُ على قارا البطريرك غير القانوني اثناسيوس جوهر قبل انتخابهِ الشرعي لذلك المقام سنة ١٧٦٠ وتسمَّى غريغوريوس . فبقي على قارا الى السنة ١٧٦٨ وفيها اعلن بطاعتهِ للبطريرك الشرعي ثاوضوسيوس دهّان الذي وكلهُ بتدبير كرسيّ يبرود مع كرسيّ قارا . وكانت وفاتهُ سنة ١٧٩٥ في دير المخلّص

١٧ (يوسف صفر) رسمهُ مطرانًا على قارا البطريرك مكسيموس الثاني حكيم في وقت تسقيف اثناسيوس جوهر لغريغوريوس حدّاد عليها (٢ . وقد ورد اسمهُ كمطران قارا في التقارير التي كُتبت في امر النزاع بين اثناسيوس جوهر ومكسيموس حكيم وفي صكّ انتخاب اثناسيوس جوهر ثانيةً سنة ١٧٦٥ (٣ . وكذلك ذُكر في رسوم الرهبنة الشويريَّة التي اثبتها البابا اقليميس الثالث عشر في ٢٢ ايلول سنة ١٧٦٤ ويُدعى فيها اسقف قارا ثم اضاف الى ذلك اسم اسقفيَّة حمص شرفًا وتوفي سنة ١٨١٠ . وهو آخر اساقفة قارا

٨ اساقفة يبرود

اطلب في المشرق (٩ : ٩٦٦—٩٦٨) . ما قيل في مدينة يبرود وتاريخها وهاك ما يُعرف من امر اساقفتها الملكيين . وليس اوَّلهم جناديوس كما روى حبيب افندي الزيّات في خزائن كتب دمشق (ص ١٦٢) نقلًا عن بولس بن زعيم الحلبيّ في تاريخ بطاركة انطاكيَّة فان كاتزر (٤ صحَّح ذلك وبيَّن انَّ جناديوس كان احد اساقفة اقليم

١) اطلب كتابهُ خزائن كتب دمشق وضواحيها ص ١٥٧
٢) اطلب التواريخ الشويريَّة نسخة دير حريصا (ج ٢ ص ١٣)
٣) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٣) .
٤) اطلب كتابهُ في آباء مجمع نيقية (Patrum Nic. nomina p.64.)

عربيَّة وان رواية اسمهِ هناك Γενάδιος Ιεβρούδων اي جنّاديوس اسقف يبوندون ويبوندون هذه في عبر الاردن هي حشبون او حسبان

١ (اوسابيوس) اسقف يبرود احد الذين امضى باسمهم في المجمع الخلقيدوني ثاودورس رئيس اساقفة دمشق. فيكون اوَّل اسقف معروف ليبرود (١

٢ (توما) كان هذا مشايعاً لبدعة القائلين بالطبيعة الواحدة فنفاهُ الامبراطور يوستينوس اذ لم يقبل المجمع الخلقيدوني بعد حرم الآباء لساويروس الانطاكي (٢

٣ (اليا) هو الاسقف الذي لهُ وضع القديس يوحنَّا الدمشقي كتابة دستور الايمان (περὶ ὀρθοῦ φρονήματος) فقدَّمهُ اليا لبطرس مطران دمشق كما مرَّ في ترجمة بطرس (اطلب المشرق ١٢: ٩١٤ واعمال آباء اليونان لمين ج ٩٤ ص ١٤٢١)

٤ (يواكيم) اسقف يبرود كان في القرن الخامس عشر وقد ذكر عنهُ بولس بن زعيم في تاريخ بطاركة انطاكية انهُ حضر سنة ١٤٥١ انتخاب مرقس اسقف صيدنايا لكرسي انطاكية البطريركيّ (٣

٥ (يوحنا) نقل المشرق (٥: ٩٥١–٩٥٢) نبذةً عن احد مخطوطات حمص العربيَّة أُلّف سنة ١٥٧٢ وكُتب في اوائل القرن الثامن عشر بيد يوسف بن عبد الله ابن يوسف الشدياق من كفر حلدا في ناحية البترون فيُقال هناك انَّ يوحنَّا اسقف يبرود سنة ١٥٣٩ وحضر مجمعاً مليًّا عُقد في قارا

٦ (اثناسيوس) كان هذا من بلدة دير عطيَّة وكان اسمهُ قبل تسقيفهِ ابراهيم وكان راهباً اذ يدعو نفسهُ بالمتوحّد. فاقامهُ مكاريوس الثالث اسقفاً على يبرود ومعلولا. امَّا تاريخ ذلك الواقع فكان كما روى بولس بن زعيم ونقلهُ عنهُ جناب حبيب افندي زيَّات (خزائن كتب دمشق ص ١٦٢) في ١٥ شباط سنة ١٦٤٧. وفي الامر نظر لانَّ مكاريوس لم يجلس على الكرسي الانطاكي الَّا في ١٢ كانون الاوَّل سنة ١٦٤٨ فلا بُدَّ من تأخير اسقفية اثناسيوس ما لم يُقَل انهُ سُقِّف على يد سلفهِ افتيميوس الساقزي

---

١) اطلب مجموع المجامع لمنسي (Mansi, VII, 169)

٢) اطلب تاريخ ميخائيل الكبير السرياني حيث نقل كلام يوحنَّا الاسيوي (Michel le Syrien II, 172)

٣) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٣)

٧ (جرمانوس) كان جرمانوس اسقف يبرود احد الاساقفة الذين انتخبوا لكرسيّ انطاكية بعد مكاريوس الثالث حفيدهُ الكاهن قسطنطين زعيم سنة ١٦٧٣ وتسمّى كيرلس الخامس ١)

٨ (غريغوريوس حدّاد) من الرهبانيّة المخلصيّة. سبق لنا القول في ذكر اساقفة قارا بانّ البطريرك ثاوضوسيوس دهّان وكّل الى هذا الاسقف سنة ١٧٦٨ تدبير كرسي يبرود فتولى الامر الى سنة وفاتهِ سنة ١٧٩٥

٩ (يوسف صفر) قلنا سابقاً بان يوسف صفر خلف غريغوريوس حدّاد في اسقفيّة قارا وتدبير ابرشيّة يبرود الى وفاتهِ سنة ١٨١٠

١٠ (اكليمنضوس مطران) بعد وفاة يوسف صفر أُلحقت ابرشيّة يبرود بابرشيّة بعلبك فساسها السيّد اكليمنضوس مطران الراهب الشويري. وفي سنة ١٨١٦ اثار بطريرك الارثذكس مرافيم الاضطهاد على الكاثوليك فجاء اكليمنضوس مطران الى يبرود وسكنها الى وفاتهِ في ٣ تموز سنة ١٨٢٧

١١ (اثناسيوس عُبَيد) خلف هذا اكليمنضوس مطران في اسقفيّة بعلبك ونظارة ابرشية يبرود فبقي في تدبيرها الى ان طلب منهُ استعفاءهُ السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم ليقيم بدلًا منهُ غريغوريوس عطا. توفي السيد عُبيد سنة ١٧٥٠

١٢ (غريغوريوس عطا) كان مولدهُ في زحلة في ١٤ نيسان سنة ١٨١٥ ثم دخل في الاكليروس العالمي فعهد اليهِ السيّد مكسيموس مظلوم اسقفية يبرود في ٢٠ شباط سنة ١٨٤٩ واضاف اليها كرسي حمص وحماة. كانت وفاتهُ في ٣ كانون الاوَّل سنة ١٨٩٩ بعد ان دبَّر ابرشية يبرود نيفاً وخمسين سنة

١٣ (فلابيانوس كفوري) خلف السيد غريغوريوس عطا في مقامهِ على حمص وحماة ويبرود في ٢١ ت ٢ سنة ١٩٠١ وهو يدبّر اليوم تلك الابرشية بغيرة ونشاط. ومولد سيادتهِ الخنشارة ثم دخل الرهبنة الشويريّة

٩ اسقفيَّة تدمر

تدمر هي المدينة العجيبة الشهيرة بابنيتها وآثارها العاديّة وملك الملكة زنوبيا (زينب)

---

١) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٢)

عليها (اطلب المشرق ١ : ٦٦١ الخ) وهذا ما يعرف من امر اساقفتها :

١ (مارينوس) ورد اسمهُ في جملة الآباء الموقّعين على اعمال المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ (١

٢ (يوحنّا) امضى ثاودوسيوس مطران دمشق اعمال المجمع الخلقيدوني في جلسته السادسة باسم يوحنا اسقف تدمر الخاضع لكرسيّه . وقد تكرّر اسمهُ ايضاً في سنة ٤٥٧ في ذيل الرسالة التي كتبها اساقفة اقليم دمشق لمَّا قُتل بروتاريوس الاسكندري (٢

٣ (يوحنّا) كان هذا من مشايعي ساويروس الانطاكي فامر الملك يوستينوس بان يُطرد من كرسيّه سنة ٥١٨ (٣

٤ (يوانيس) كان هذا من بيت الساميري ودخل الرهبنة الحنّاويّة الشويريّة ثم أُقيم اسقفاً على تدمر في النصف الاوّل من القرن التاسع عشر ولا نعرف عنهُ الّا القليل

٥ (مكاريوس سابا) سُقّف على تدمر شرفاً في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ وعُهدت اليهِ النيابة البطريركية على القطر المصري . وسيادتهُ مولود في حلب سنة ١٨٧٤ . وقد بقي كرسي تدمر شرفيًا عند الروم الارثذكس ايضاً . ومن أُقيموا على هذا الكرسي اثناسيوس رئيس دير القديس سبيريدون في بلاد الفلاخ سنة ١٨٣٠ ثم ساروفيم احد الاساقفة الذين ردّوا دعوة البابا بيوس التاسع لحضور المجمع الفاتيكاني (٤

١٠ اسقفيّة زحلة

كرسي زحلة حديث العهد . وقد ظنّ البعض ان زحلة كانت تدعى سابقاً سلوقية والصواب انَّ سلوقية مدينة على مصبّ نهر العاصي وهي التي تُعرف اليوم بالسويديّة وانَّما العرب دعوها بهذا الاسم نقلًا من تآليف البوزنطيين الذين يسمّونها « Σουέτιον » كما دعتها الكاتبة حنّة كومنان . فلمَّا دخل العرب بلاد الشام نقل الروم كرسي السويديّة الى معلولا فبقي عليها اسم سلوقية حتى بعد انتقال اصحابها الى زحلة فيدعو الروم في

١) اطلب جدول آباء نيقية (H. Gelzer : *Patrum Nicæn. Nomina*, 14, 82, 100)

٢) اطلب مانسي (Mansi VII, 169 et 559)

٣) اطلب تاريخ يوحنّا اسقف آسيا منقولًا في تاريخ ميخائيل الكبير (Michel le Syrien II, 172)

٤) اطلب منشورات مكتب رومانية (Documents inédits de l'Acad. Roumaine)

يومنا اسقف زحلة بصاحب سلوقية (١). امّا الروم الملكيون الكاثوليك فانّ اساقفتهم فيها دُعوا اوّلًا باساقفة فرزل والبقاع منذ سنة ١٧٢٤ ثم اضافوا اليها زحلة وذلك سنة ١٧٧٤

١ (اثيموس) بعد وفاة اثناسيوس جوهر قام الحزب الكاثوليكي في الشام وطلب له خلفاً كاثوليكياً خاضعاً للكرسيّ الرسولي فاختاروا ساروفيم طاناس ابن اخت اثيموس صيفي اسقف صيدا الّا انّ القوانين كانت تقضي بوجود ثلاثة اساقفة لتكريس البطريرك فسقّف ناوفيتوس نصري اسقف صيدنايا وباسيليوس فينان اسقف بانياس احد كهنة معلولا المسمّى اثيموس فجعلاهُ اسقفاً على الفرزل ثم اجتمع الثلاثة الاساقفة وقلّدوا البطريركية كيرلُس طاناس في ٢٠ ايلول سنة ١٨٢٤

وكان اثيموس من الرهبانيّة المخلّصيّة. توفي سنة ١٧٧٥ على رواية القس انطون بولاد وسنة ١٧٦٨ كما روى في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين وكانت وفاتهُ في مزرعة القريعة ودُفن بدير المخلّص

٢ (يوسف فرحات) قال القس انطون بولاد كان من المحترم وندر الرهبانيّة سنة ١٧٣٨ وارتسم كاهناً سنة ١٧٤٥ ثم صار اسقفاً على كرسيّ الفرزل نساءمُ البطريرك ثاوضوسيوس دهّان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٥ وتوفي في زحلة في ٢٩ حزيران سنة ١٧٩٣

٣ (باسيليوس جباه) وقيل الجبلي اصلهُ من يبرود دخل الرهبانيّة المخلّصيّة ونذر فيها سنة ١٧٥٢ وصار كاهناً سنة ١٧٦٠. ولمّا كانت السنة ١٧٩٥ اختاره البطريرك كيرلُس سيّاج اسقفاً على الفرزل وزحله وبقي في تدبير كرسيّها الى سنة وفاته ١٨١٢. هكذا روى القسّ انطون بولاد بخط يده في آخر التوختيكون الذي الّفهُ القس يوحنّا العجيمي في نسخة مكتبة الآباء اليسوعيين (ص ٣٥٠) وفي تاريخ طائفة الروم الملكيين للمطران غريغوريوس عطا (ص ١٩٤) بعض اختلاف في السنين

٤ (مكاريوس الطويل) كان دمشقيّ الاصل فترهّب في دير المخلّص ونذر النذور الرهبانيّة في ٢٩ حزيران سنة ١٧٧٩ ورقي رتبة الكهنوت سنة ١٧٧٩ وصار رئيساً عاماً لرهبانيّته ثم رسمهُ البطريرك اغابيوس مطر اسقفاً على الفرزل وزحله سنة ١٨١٢ لكنّهُ لم يدبّره الّا سنة واحدة اذ وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريرك في

(١) اطلب كتاب تشاكوني Cecconi, III,71

العام التالي سنة ١٨١٣ في ٢٩ ت ٢ وتوفي في ٣ ك ١ سنة ١٨١٥ ودُفن بكنيسة دير المخلّص

٥ (اغناطيوس عجّوري) كان حلبيّ الاصل ومن اكليروس المليانيّ وسقّف على كرسي دياربكر بيد البطريرك اغناطيوس القطّان ثم نقلهُ الى كرسي الفرزل وزحلة سنة ١٨٥٦ فدبّرهُ الى سنة وفاتهِ في آب من السنة ١٨٣٤. وعُرف بهمّتهِ وتقواهُ وهو اوّل من طاف في شوارع زحلة بالقربان المقدّس فانقطع بسبب ذلك الطاعون الفاشي فيها(١)

٦ (باسيليوس شاهيات) اصلهُ من حلب واخوهُ هو غريغوريوس اسقف حلب الذي مرّ ذكرهُ (المشرق ١١: ٥٤٣) وكان كلاهما من الرهبانيّة الشويريّة ففي ٧ أيار سنة ١٨٣٦ سُقّف باسيليوس على كرسيّ الفرزل وزحلة بوضع ايدي الطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم فبقي عليهِ الى سنة وفاتهِ في ١١ كانون الثاني ١٨٦٦. ومن آثارهِ تشييدهُ لكنيستهِ الكاتدرائيّة في زحلة

٧ (امبروسيوس عبده) هو ابن ميخائيل عبده اصلهُ من حلب سيم اوّلًا اسقفًا على القلّاية الاورشليميّة سنة ١٨٦٠ فبعد وفاة السيد باسيليوس شهيات نقلهُ البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٦٦ الى كرسي الفرزل وزحلة فساسهُ بضعة عشر سنوات ثم استقال في ٢٨ كانون الاوّل ١ سنة ١٨٧٥ وعاد الى اورشليم فتوفّي في العام هناك المقبل

(ملاتيوس فكّاك) اصلهُ من دمشق وفيها ولد سنة ١٨٢٩ وبعد ان خدم مدّة في دوائر الحكومة خصّ نفسهُ لخدمة الله وانضمّ الى اكليروس زحله واختارهُ مدّة السعيد الذكر البطريرك اكليمنضوس بحوث كاتبًا لاسرارهِ ثم رُقي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٦٥ وصار نائبًا بطريركيًا. ولمّا استقال السيّد امبروسيوس عبدهُ سنة ١٨٧٥ سقّفهُ كخلف لهُ على كرسي فرزل وزحلة والبقاع البطريرك غريغوريوس يوسف في ٢٣ ت ٢ ١٨٧٦ وبعد ثلاث سنوات نُقل الى كرسيّ بيروت فدبّر ابرشيّتها الى سنة وفاتهِ في ١٦ تموز سنة ١٩٠٤

٩ (اغناطيوس ملّوك) كان مولده في بعلبك في ٢٣ نيسان سنة ١٨١٥ وسُمّي جرجس ثم خدم كرسي زحله بصفة شمّاس وكاهن اسقفي ونائب بطريركي

---

١) وقد اثنى على فضائلهِ الاب مبارك پلانشة اليسوعي وكان قدم حديثًا الى بلاد الشام لاستئناف الرسالة اليسوعيّة فيها Rabbath : *Documents inédits* II, 131—133

وايكونومس نحو اربعين سنة حتى جلس عليهِ برتبة اسقف في ١٨ ايلول سنة ١٨٨١ ودُعي اغناطيوس. توفي سنة ١٨٩٨

١٠ (كيرلُّس مغبغب) هو المطران الحالي. تلقَّى الدروس الدينيَّة في روميَّة واقيم رئيساً على مدرسة عين تراز وقد اختارهُ البطريرك بطرس الجريجري خلفاً للسيّد اغناطيوس ملوك فسامهُ في الاستانة في ٢٨ أيار سنة ١٨٩٩. وقد تجوَّل مدةً في انحاء اوربَّة واميركا لتحسين شؤون كرسيّهِ وسيادتهُ معروف بفضلهِ وغيرتهِ ادامهُ الله زمناً طويلاً لخير ابنائهِ

١١ اسقفيَّة الزبداني

الزبداني بلدة في البقاع في لحف لبنان عند منتصف طريق السكَّة الحديديَّة بين دمشق وبيروت شهيرة بخصب تربتها وكثرة اثمارها

١ (*) جاء في اعمال البطركيَّة القسطنطينية (١ ان ميخائيل الثاني خلف البطريرك باخوميوس على كرسيّ انطاكية سنة ١٣٦٧ او ١٣٧٠ ارسل الى القسطنطينية صورة ايمانهِ (٢ مع اسقفين احدهما مطران هليوبوليس اي بعلبك والثاني اسقف زبدايا (ἐπισκόπου Ζαβεδαίου) وزبدايا هذه على ما نرى هي الزبداني ما لم يُقَل انَّهُ عامّ للاسقف المرسل الَّا انهُ يترجح انَّ زبدايا اسم بلدة فكما دعا الاوَّل مطران بعلبك دعا الثاني اسقف الزبداني

٢ (ميخائيل) افاد الارشيدياقون بولس زعيم في تاريخهِ بان مجمع الاساقفة انتخب لبطريركية انطاكية في سنة ١٤٥١ مرقس اسقف صيدنايا فتسمَّى ميخائيل الرابع وكان من جملة المنتخبين ميخائيل اسقف الزبداني (٢

٣ (*) وصف الاب لويس شيخو في المشرق (٥: ٩٥١–٩٥٢) كتاباً مخطوطاً فيهِ اسماء عدَّة اساقفة من جملتها اسم احد اساقفة الزبداني في تاريخ سنة ١٥٢٩ والكتاب طقسي خُطَّ سنة ١٧٥٢ واسم الاسقف ممحوٌّ يقال هناك انهُ اسقف الزبداني.

---

١) اطلب Miklovich et Müller : *Acta Patr. Const.*, II, 248—9

٢) اطلب خزائن كتب دمشق لحبيب افندي الزيَّات (ص ١٠١)

٤ (يواكيم) قد وقَّع يواكيم اسقف الزبداني (ἐπίσκοπος Ζεβδανίου) مع كيرلس دبّاس مطران الحوران على عريضة كتبها ثاوفانوس بطريرك القدس تاريخها ٥ تشرين الاوَّل سنة ١٦١٧ (١

٥ (برليموس) اسقف الزبداني حضر مجمعاً عُقد في دمشق سنة ؟–١٦ على عهد البطريرك مكاريوس الثالث كما روى بولس الزعيم للنظر في دعوى مطران حمص ابن العميش (البقية لعدد آخر)

المناديات الدمشقيَّة في الاثمار الشاميَّة

للاب سليمان غانم اليسوعي

وهب الخالق المنَّان دمشق الفيحاء وقراها المجاورة ارضاً مخصبة وماء غزيراً وهواء سليماً وشمساً محيية . فكثرت فيها الاشجار المثمرة والفواكه اللذيذة واحرار البقول والرياحين العطرة التي يطيب للاذن سماع ذكرها ووصفها كما يطيب للّسان النداءة باسمها والعين حسن منظرها وللشمّ شذا ريحها ولليد نعومة ملمسها وللذوق حلاوة طعمها . فيتمتَّع سكَّانها بهذه العطايا الفاخرة « فيأكلون ويشبعون ويسمنون ويتلذَّذون بجودة العظيم » (نحميا ٩ : ٢٥) ويخلصون له الحبّ والمودَّة والاكرام وينطقون بحمده وشكره على الدوام

امَّا بعد فان الباعث لوضع هذه المقالة هو سماعي الباعة الجوَّالين ينادي كل منهم ببيعه في ازقَّة دمشق فيمرُّون كل يوم وكل النهار رافعين اصواتهم يتغنُّون بنغم ونبرة وعبارات تميّز محصولهم عن سواه وتشوّق السامعين الى مشتراه فجمعت من منادياتهم ما حوى نكتة او ملحة تفكيها للباحثين في العوائد المحلّيَّة او الملتقطين شذرات العربية ثم اضفت اليها شروحاً زراعيَّة وتجاريَّة اخذتُ معظمها عن الخواجا فرنسيس ديوس الدمشقي احد ملّاك الزبداني . جزاهُ الله خيراً في الدنيا والآخرة

---

١) هذه العريضة نُشرت في المجلَّة الارثوذكسيَّة Νέα Σιών (ج ٢ ص ٢٨٥–٢٨٧)

٢) اطلب رحلة مكاريوس Belfour : *The Travels of Macarius*, II,476

واسأل ابا الانوار ان ينعم عليَّ بشيءٍ من حكمة سميّ سليمان الذي « تكلّم في الشجرة من الارز الذي على لبنان الى الزوفى التي تخرج في الحائط » (٣ ملوك ٤ : ٣٣)

ارجو القارئ اللبيب ان يتأمل في اعمال الباري النباتيَّة ويهتف مع اوليائهِ (دانيال ٣ : ٧٦) : « باركي الرب يا جميع انبتة الارض ، سبحيهِ وارفعيهِ الى الدهور »

ولدى البحث والاستقصاء في المملكة النباتيَّة اتَّسع مجال الكلام فلزم تقسيمهُ الى اقسام وتجزئتهُ الى اجزاء. ولئلّا يملّ القارئ من طول المقالة اقتصرت اليوم على ذكر بعض الاثمار والاشجار البلديَّة داعياً اوَّلًا « الشجر المثمر » الى تسبيح اسم الله القدوس (مز ١٤٨ : ٩ و ١٢) وها كها مسرودة على ترتيب الحروف الهجائيَّة :

١ في الاجاص

الاجاص كثير في التل ومنين وجهاتها . وقليل من الهامة الى الزبداني . وينبت في كل ارض الّا ان الحمراء السمينة التي لا صخر فيها اصلح له ويعيش فيها نحو ٣٠ سنة اذا عُني بهِ . واثمار الاجاص ستَّة اشكال :

١ (العثماني) وهو كبير وكثير وطيب (ورطلهُ من ٤ الى ١٢ ق)

٢ (ابو زبلة) وهو كثير ودون (وقنطاره من ٣٠ قرش الى ٥٠)

٣ (الطعم صيفي) ويبلغ كبر السفرجلة . وهو جيد وقليل (ورطله من ق ٢٠ الى ٣٠)

٤ (الشتوي المدوَّر) وهو على شكل التفَّاحة ولذيذ . واصلهُ من الشتورا

٥ (الشتوي المتطاول) الذي لهُ عنق كالعادي . وهذان الشكلان يُقطفان بعد عيد الصليب (وطلها من ٦ الى ١٢ ق)

٦ (العرمط او البرّيّ) ولبُّهُ مبرغل (يشبه البرغل) ويبقى مرّ الطعم وان نضج . والنابت في البساتين لشربهِ الماء اكبر من النابت في الجبال

ويطعَّم ابو زبلة والعرمط من الاشكال الجيّدة

ويزهر الاجاص في آذار ويؤكل في آب وينضج ابو زبلة قبل العثماني ويُنادى هذا: « ابو زبلة لا تأكل . هذا عثماني يا رايق »

وخشب الاجاص يستعمل قوالب للطباعة فانهم يطبعون في دمشق بعض النقوش

الملوَّنة على اغطية اللحف والمناديل واغطية الرأس ويستعملون السمّاق للون الاحمر والفوّة والجهرة للون الاصفر · ويستعملهُ النجّارون الفرنج في بعض اشغالهم الثمينة

٣ في التفاح

يُضرب المثل هنا في التفاح الزبداني كما في العنب الداراني والمشمش الهاماني فيبلغ التفّاح الزبداني ١٥ قنطاراً وفي اوّلهِ في ايار الى نصف حزيران يبيعون ٥ ارطال منهُ بقرش ويُطعم البقر والغنم ما يسقط منهُ لكثرتهِ · وعُشر التفاح والفواكه يبلغ في دمشق ٦٥,٠٠٠ قرش ومجموع عشرها كله الف ليرة في السنة

لا ينجح التفاح الّا في الارض السمينة السوداء او الحمراء فيعيش فيها في نحو ٣٠ سنة وفي غيرها يموت بعد ١٠ سنين · ويجب سقيهُ في الاوَّل في كل عدّان (٨ ايام) لئلا يهلك في اوَّل سنة ويكتفي بعدئذٍ بالشرب كل ٢٠ او ٣٠ يوماً

والارض المحصَّاة (التي يكثر فيها الحصى او البحص) توافقهُ وتوافق كل الشجر لانها تحفظ لاصلها الرطوبة والبرودة . والتفاح يزهر في نيسان وان اصابهُ مطر يرمي زهرهُ (يمشّش) ولا يحمل · وخشب التفاح يستعمل الوقيد هنا مع ان الفرنج ينتفعون به في اعمالهم الدقيقة كثيراً · ويؤكل في ايار

وفي الزبداني اربعة عشر نوعاً من التفاح وهي:

١ (السكارجي) وهو تفاحها الشهير · لونهُ ازرق اوَّلًا ثم يسودّ بعد انضج وهو لا حلو ولا حامض في اولهِ ويطيب بعد نضجهِ · ولـهُ رائحة ذكية تميّزهُ عن سكارجي وادي بردى الذي هو دونهُ قيمةً · وتبلغ شجرتهُ في مضايا كبر الجوزة فتحمل قنطاراً · ولا يضرّ نقلهُ الى البلاد البعيدة فيبقى صحيحاً على حالهِ

وتفرخ اصوله بكثرة حتى انهم يبيعون من نصبهِ بقيمة عشرين الف قرش في السنة ويخبر ان البيع وود قنصل انكلترة في دمشق من نحو خمسين سنة اشار الى اصحاب الاملاك في الزبداني ان يستخرجوا من التفاح شراباً (cidre) كما يفعل الاوربيون في بلادهم فجربوا ولم ينجحوا لجهلهم الطريقة · فقطعوا حينئذٍ شجرهُ لكثرتها وحرقوها وباعوها فحماً · (رطل الكبير بقرش والصغير ١٠ بارات الى ١٢٧ب)

٢ (السكّري) وهو طيّب ولهُ خدّ احمر وخدّ ابيض · ويوجد منهُ كثير في بلودان وداريا ويبقى في بلودان الى عيد الصليب وكلَّما نضج طاب بخلاف السكّري الزبداني

والتوت ينبت في كل ارض و يعيش نحو الف سنة الّا انهُ يضوُل (يقرقم) بعد الخمسين. ولا يسأل عن الماء والخدمة الّا ان ايراده يزيد بهما وفي الارض السمينة. وتكبر التوتة في الزبداني كسائر الاشجار وهم يبعدون التوتة عن اختها من ٢٠ الى ٢٥ قدماً لئلّا تشتبك الاغصان. وخشب التُوت يستعمل لدواليب الحلالة (حلّ الحرير في القرى) ولدواليب الدوارة التي تهيئ خيطان الحرير للسدى والتوارج (في الزبداني)

وثمر التوت خمسة اشكال وهي:

١ (الشامي) الشهير وهو اصغرها يكون اسود غامقاً وحامضاً ويُؤكل بسكر او بدونه. ويُصنع منهُ وحدهُ شراب يُحفظ في القناني (ورطله من قرشين الى اربعة ق ي من ١٧ الى ٢)

٢ (الحلبي او الرُطب) وهو ابيض

٣ (الهرمشي) وهو ابيض واحمر

٤ (المصري) وهو كالشامي لونهُ الّا انهُ حلو واكبر منهُ

٥ (القزّي) وهو ابيض وصغير

ودود القز لا يربّى اليوم في قرى الشام الّا في الزبداني وقدسيّا ومضايا وسرغايا وبقين. وتباع فيالجها (شرانقها) في كراخين لبنان (الاقة من ١٦ ق الى ٢٠)

وفي الجيل الماضي لمّا كانت الدودة البلديّة في عزّها كانت الزبداني تحلّ وتبيع لدمشق نحو ٣٠,٠٠٠ اقة حرير. وكان درهم البزر يغلّ ست اقق شرانق. وكانت الاقة تعطي ٤٥ درهماً حريراً. اما اليوم فالدودة الاجنبيّة لا تعطي الّا ٥٠٠٠ اقة ودرهم البزر لا يعطي الّا اقة فثلاث . واقة الشرانق لا تعطي الّا ٢٠ درهماً وان اقبلت المواسم لا تتجاوز ٤٠ درهماً

وينادي الباعة على التوت:

« يا شامي على الله الشفا – شامي يا عوافيه – حلواني يا توت – بارد وحار يا توت – اصل الحلاوة يا توت – ملبّس يا توت – بلح يا توت – نازل عليك الندى يا توت »

ويضرب المثل في سرعة التوت فيقال: « لا تكن كشجرة اللوز بل كشجرة التوت » لان اللوز يزهر في نصف شباط ولا يطعم الّا في حزيران اما التوت البرّي فيخرج ورقهُ في العشر الاوّل من نيسان وبعد ١٣ يوماً يأكل الدود ورقه والناس تأكل

الرشيد والبرامكة

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

الخيانة والغدر

مجلس العلوي في منازل البرامكة. باب على حدة. مائدة عليها شمعة مشتعلة

المشهد الاول

ياسر (١)

ياسر قد آن الوقت الذي عاهدتُ الفضل عليه وقرُب منتصفُ الليل ولم يأتِ بعد. وانا ادور في انحاء القصر متربصاً قدومهُ ساهراً سهر البخيل على دنانيره عساني افوز بما وعدني بهِ الرشيدُ يوم اهداني الى جعفر إن اتيتُهُ بدخلة اخبارهم ومصادر اسرارهم. يحسبوني صادق النيّة صافي الطويّة وانا أعلّهم بحلو الكلام في طيّهِ سمٌّ قاتل (سكوت)

على اني اذكرُ الايام التي مضت ايام كنتُ في هرقلة اعيشُ بالدلال والتقى في بيت البطريق ابي سرجيس. فاحاطت بنا جنود الرشيد واذ لم يتمكنوا من المدينة قهراً ارادوها غيلةً فكنت انا الخائن القيتُ اليهم بمفاتيح المدينة سرّاً واتيتُ الى معسكرهم فجحدت ديني وكفرتُ بمعتقدي فكان جزائي الاسر حتى اصبحتُ بعد العزّ والكرامة ذليلاً اقضي العمرَ بالمجون والعهارة والفجور ولا اصل اليها الّا بالمكر والخديعة (٢. فهذا جعفر لم ارَ منهُ الّا كل

١) اجمع المؤرخون على انّ الرشيد اهدى هذا العبد الخائن الى جعفر ليطلعهُ على اسرار البرامكة ٢) امثال هذا العبد كثيرة في التاريخ. امّا فتح هرقلة فتجد وصفهُ في المسعودي (٦: ٣٤١) وابن الاثير (٦: ٧٠) وغيرها

يحيى سبحانَ مَن بيدهِ قلوب الملوك يديرها كيفما شاء.. انهُ القدير الرحيم بالعباد

جعيفر انا ذاهب لاعلمهُ أنَّ العفوَ صدر فيهِ

جعفر ما الذي بيدك ؟

جعيفر تفّاحة في غير اوانها. اعطانيها جبريل هديَّة لك. كدتُ انساها. انظر ابتِ فيها رقعة

جعفر هاتِ

جعيفر وانا مسرع الى مخدع الشيخ (يخرج)

المشهد الثالث

يحيى البرمكي . جعفر

جعفر (يأخذ الرقعة ويقرأ):

«يُعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغُ عنك كما يروغ الثعلبُ»

وما معنى ذلك ؟

يحيى اراد جبريل ان يحذّرنا من مكيدة

جعفر هو هذا لكن ما يكون الامر ؟

يحيى يريد الرشيد قتل العلويّ

جعفر وقد عفا عنهُ !

يحيى هي خديعة ليتمكَّن من العلوي ونحن في أمن لِما اضمر من الشرّ جاهلون

جعفر اوَ تظنُّ انَّ الرشيد مع ما يظهرهُ من التورّع والعبادة يقدم على نكث العهود وسفك الدماء ؟ او هل يُلقي في طيّ النسيان ما كتبهُ بيدهِ من صكوك الامان ليحيي بن عبدالله . فلا حبَّذا الذين بالعهود يكفرون

يحيى دع عنك هذه الاوهام فان الرشيد سريع الغضب ثائر المخيلة يجمع بين التقوى والقساوة . [فكم من مرَّةٍ لم يكد ينهِ ركعاتهِ في الصلاة الَّا وامر بالسيف والنطع فهدر الارواح وقطع الاعضاء تحت السياط والعدد تقطيعاً وهو ينظر الى الدماء تتدفَّق واللحاظ تتناثر حواليهِ وانا ادعوهُ

الى الشفقة بلا جدوى [١] . والان فهذا شيطانة الفضل بن الربيع وهو شرس الخلق وحشيّ الطباع وقد تملّك على افكاره وارائه يُسهّل له سُبُلَ الجور. فلا عجب من كيدهِ وظلمهِ .. امَّا نحن فعلينا ان نتلافى ما هو أولى بالتلافي فنطلق سبيل العلوي عاجلاً

جعفر: لكنك لا تجهل سيدي ما في اطلاقهِ من الجرأة والتعرُّض للمهالك فسوف يتّخذ الواشون حفظنا للعهد وسيطة لتأجيج نار البغضاء في وجهنا [٢]

يحيي: قد وقعت الاقضية اللازمة والحقوق الواجبة فيجب ان لا يكون لنا هوادة ولا اغضاء ولا جبن اثرةً للحق وقياماً بالعدل وبراً في اليمين. هو الدين يقضي بانجاز العهود ولو عرّضنا بارواحنا و بولدنا للهلاك

جعفر: صدقتَ يا ابتِ . الدين الدين يوجب علينا هذا . فلتعرّفنّ العلوي بابنِ موسى

يحيي: انظر : على جانب الرقعة كتابة . (يقرأ) « سيقتلهُ عند منتصف الليل »

جعفر: ايكون هذا ؟ (اضطراب)

يحيي: يا لله من هذا الاثم الفظيع

جعفر: قد اقترب من الليل نصفهُ . ما العمل ؟

يحيي: فلنسرع باطلاقهِ قبل ان يحدث حدث . هاتِ رسالتك الى الفضل بخراسان

جعفر: فُقدت فلم اجدها

يحيي: ان في منازلنا قوماً غششة يخدعوننا . لا بُدَّ من الاسراع . ادعُ العلوي وجعفراً

جعفر: ها هما آتيان

---

١) الطلب في الاغاني والطبري والفخري والمسعودي الخ حوادث كثيرة تثبت ما ذكر. وهاك مثلاً واحداً ننقلهُ عن الطبري (٣ : ٧٢٤) « اخبر ابن جامع المَرْوَزي عن ابيهِ قال : كنتُ في من جاء الى الرشيد باخي رافع فدخل عليهِ . . فسمعت الرشيد يقول : إنَّا لله وانا اليهِ راجعون . . ثم دعا بقصّاب فقال : لا تشحذ مِداك اتركها على حالها وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق وعجّل ولا يحضرنّ اجلي وعضوان في جسمهِ . ففصّله حتى جعله اشلاء . فقال : عُدّ اعضاءهُ . فعددتُ لهُ اعضاءه فاذا هي اربعة عشر عضواً . فرفع الرشيد يديهِ الى السماء فقال : اللهمَّ كما مكّنتني من ثارك وعدوّك فبلغت فيهِ رضاك فمكّنّي من اخيهِ . ثم أُغمي عليهِ وتفرّق من حضر »

٢) الطلب الفخري (٢٨٨) وابن بدرون (٢٤٦) والطبري (٣ : ٦٦٩) وسائر المؤرخين

المشهد الرابع

يحيى البرمكي . العلوي . جبيفر . جعفر

جبيفر: نعم سيدي الشيخ غدًا تعود الى الحرية فقد سمعتُ الرشيد يأمر بفكّ قيودك

العلوي: سقياً لك من بشير. كنتُ ايها الاسياد بين نائم وساهر تتلاعب بي الهواجس والاوهام تارةً تريني خيالاتٍ لا يزال رسمُها مطبوعاً في فؤادي كأني مطلق الحريّة اسيرُ حيثُ شئت. وقد لقيتُ ابني موسى بعد السنين الطوال فعانقتهُ وقبّلت وجنتيه. وطوراً يتخيّل لي أنَّ ذئاباً ضاريةً احاطت بنا فاختطفته من بين ذراعيَّ وجعلتْ تتناتشه على حين لا استطيع ان اضمد كلومه الدامية وانجيه من بين مخالبهم

يحيى: صدق منامك في فاتحته وقاك الله من الخاتمة

العلوي: قد أُشكل عليَّ كلامك

يحيى: إنَّ الرشيد قد أظهر في كلامه البرَّ واضمر الضرَّ. فما وَعْدهُ بخلاصك إلّا خديعة تمكّنهُ منك فريسةً هينةً. فهو عازم على قتلك الساعة قبل ان يُسفر الصبح

جبيفر: يا لله !

العلوي: لا حول ولا قوّة الّا بالله !. اتقِ الله يا ابن خالد في امري ولا تتعرّض الى دمي فتخفر ذمتك

يحيى: طب قلباً . . . .

العلوي: إن الحسدة بغوا عليَّ ورموني بما ليس فيَّ وتقوّلوا عليَّ الاقاويل كذباً وانا وتربةِ اجدادي ما أحدثتُ حدثاً ولا آويتُ محدثاً (١

---

١) قال ابن الاثير (٦ : ٦٣) . ان الرشيد دفع يحيى بن عبد الله . الى جعفر فحبسهُ ثم دعا به ليلةً وسالهُ عن بعض امره فقال لهُ : إتّقِ الله في امري . . . فوالله ما احدثتُ حدثاً ولا آويت محدثاً . فرقّ لهُ وقال اذهب حيث شئتَ من بلاد الله . قال : كيف اذهب ولا آمنُ ان أُوخذ . فوجّه معهُ مَن اداه مأمنه . وبلغ الخبرُ الفضلَ بن الربيع من عينٍ كانت لهُ من خواصّ جعفر فرفعهُ الى الرشيد

جعفر لا يزال الرشيد يسعى في هلاك آل علي

العلوي او لم يكتفِ الرشيد بما فعل وبمن ذبح منّا والحق حقنا [فان «ابانا عليا كان الامام وهو اوّل المسلمين اسلاماً ومن ولدهِ الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنة . فاين حظكم من الخلافة يا بني هاشم ؟ وكيف ورثتم ولاية علي واولاده احياء » ؟ (١]

يحيى اخفض من كلامك فاني اخاف المنافقين والخوّان

العلوي لا - أوَ انكر الرشيدُ صكّ الامان هذا الذي كتبهُ لي بيدهِ فأشهدَ عليهِ جلّة بني هاشم وشهدتم عليهِ انتم فارسلهُ مع هدايا فاجبتُ الى الصلح وتركتُ الالوف من احزابي شحاً بدماء العباد وزهداً بالدنيا . فألقاني في مطمورة لولاكم لمتُّ فيها من العذاب وهو الآن يريد قتلي (٢

اما والله لكأني باخي النفس الزكيّة وابراهيم قتيل باخمرى يقولان للعباسي وقد ضيّق عليهما : لن ينقضي عنا يومٌ من البلاء الّا انقضى عنك معهُ يومٌ من الرخاء حتى نقضي جميعاً الى يوم ليس لهُ انقضاء يخسر فيهِ الظالمون (٣

جعفر ان الوشاة يزعمون انّك تطلبُ البيعةَ لنفسك

العلوي لا ومَن بسط الارض ورفع السماء لم يَبدُ هـذا في خلدي ولو أني اردت الخلافة لما اجبتُ الى الصلح يومَ عظمتْ شوكتي في الديلم وخراسان ومصر والشام واجتمع اليّ المؤمنون من الامصار . فقد كبرتُ وجرّبت الرجال وسبرتُ الدنيا فزهدتُ وطلبت الانقطاع الى العبادة . وبرهاناً لقولي هـاكَ صكَّ مبايعتي للرشيد ولابنهِ المأمون كتبتهُ بيدي

يحيى (يأخذ الصكّ) سكّنِ الروع فلا يصل اليك الرشيد بضرّ والبرامكة احياء . فان شهامتنا وديننا يقضيان علينا بخلاصك ولو كان الهلاك جزاءنا . فاذهب حالّاً قبل وقوع الفائة

العلوي انكم لكرام اشراف

---

١) الاربلي (٥١ و ٨٠) بالحرف الواحد
٢) ابن الاثير (٦ : ٤٤) والاغاني (١٧ : ٤٢) والطبري (٣ : ٦١٢) والمسعودي (٦ : ٣٠٠)
٣) المسعودي (٦ : ١٩٤-٢٠٥) والفخري (٢٩ و ٢٦٥) وابن الاثير (٦ : ٥٦)

يحيى: وقد حان الوقت لأعلمك بسرّ طالما طويته في صدري. اتذكر ابنك موسى يوم اختُطف من بين يديك طفلاً رضيعاً (١

العلوي: كيف لا وذكره لا يزال يُثير اشجاني ويسكب عبراتي ؟

يحيى: (لجعفر) يا موسى بن يحيى قبّل يد ابيك

العلوي: جعفر ابني !!

جعفر: انت ابي (يتعانقان)

العلوي: انت جعفر ابني وقرة عيني موسى ؟ تعال يا ولدي ومهجة فؤادي اضمّك الى صدري فان قلبي لبعادك قد بردت حركته وكادت تزول الروح من جسدي

جعفر: يا اباه !

يحيى: ها العقد الذي كان في عنقه ساعة اراد الجنود ذبحه

العلوي: هو هو . هذه الاعين النُّجل والجبين الوضّاح سيماء ولد عليّ

جعفر: قد طالما حنّت اليك عظامي ودمي وقلبي فجمعت لك الزهود وملت الى رؤياك وتُقت الى محادثتك ! كم بكيتُ لما عرفت أني يتيم ولم ادر أنك انت ابي (يقبّل يده)

جعفر: سبحان من أتانا بالفرج بعد اليأس

العلويّ: لله الشكر والحمد فانه ردّ عليّ ولديَّ ابراهيم عبد الله وموسى جعفر

جعفر: اذن عبدالله اخي !

العلوي: هو اخوك ابراهيم

جعفر: (بفرح) احمدك الله على ما اوليت من النعم

العلوي: وبعد الله فلكم يا معشر البرامكة الكرام أشكر وعلى ايديكم البيضاء أثني. ولا قِبَلَ لي بالقيام بحق نعمكم وحرمة آلائكم. فلم أرَ ولم اسمع بجود ومروءة وورع ودين كما رأيت في منازلكم. فلو فاخرت الدنيا بالأثور من خصائص نفوسكم فمال من سواكم من لدن آدم الى ان ينفخ في الصور ويبعث اهل القبور لما باهت الّا بكم ولا عزّت في الفخر الّا عليكم.

---

١) ذكر هذا ابن الاثير (٥ : ٢١٣) في خبر محمد بن عبد الله العلوي

فاني اسير معروفكم ورهين كرمكم . اقسم بكل ما هو عزيز وشريف اني سأنشر محاسنكم وابثُّ عرف مناقبكم ما دامت الروح في جسدي (١

جعيفر: لا ادري ما اقول . فاني فرحٌ للثيان الي لكن دعني ان ادعوك باعزّ الاسماء . انت ايها الجدّ الكريم وانت ابت الحبيب (يقبّل يد يحيى وجعفر) فقد رُبيت في حجركما كابن من ابنائكما فكنتُ موضع حبّكما وحبّهم . والآن كيف انهض بواجب منتكم وانا طفل صغير ؟ فليس لي الّا الدعاء الى الله ان يحفظكما وذويكما بنعمته ويقيكما ويقيهم كيد الاعداء . انه اللطيف بالعباد

يحيى: وقانا الله وايّاكما كيد الظالمين

جعفر: ان الوقت حرج وفي ضياع دقيقةٍ واحدةٍ خطرٌ ا فاذهبا مسرعين على طريق خراسان وانا لاحق بكما ان شاء الله

العلوي: كيف ارحل وادع اولياء نعمتي في خطر من اجلي

يحيى: استحلفك بالله يا ابن عبدالله ان تسرع بالسفر الساعة حالًا قبل ان تُبثّ العيون في طلبك فلا بأس علينا انما الخوف كل الخوف عليك

جعفر: خذ خاتمي يعرفهُ اخي الفضل فيكرمكما (٢

يحيى: ان الليلة باردة خذ ردائي (للعلوي)

جعفر: (لجعيفر) إلتحفْ بهذا

يحيى: واذهبا شاءكما السلام

العلوي: بماذا اكافئكم ؟ ان الله وحده وليُّ ثوابكم

جعيفر: سألت الله ان اموت حبًا بكم يا آل برمك

يحيى: أسرعا رافقتكما السلامة في الحلّ والترحال (يخرجان)

---

١) غيضٌ من فيض ذكر المؤرخون كابن عبد ربّه والمسعودي والفخري في مدح البرامكة
٢) كان الفضل واليًا على خراسان . اطلب الطبري (٦٢١)

المشهد الخامس

جعفر . يحيى

يحيى قد تمّ الامر

جعفر (على حدة ينظر الى الخارج باضطراب منذ برهة) اني اسمع حركةً

يحيى صوت الفضل بن الربيع

جعفر كيف يندسُّ في منازلنا سرًا كاللص ؟

يحيى فلنختفِ صاةً نطّلع طلع مراده (يُطفئ الشمعة)

جعفر سادعو الينا بعض الخدم (يخرج من آخر المرسح)

يحيى أعنّا يا رب وقدّر بحكمتك ما شئت فاني لاوامرك مطيع (يختفي في غرفة العلوي)

المشهد السادس

الفضل . ياسر

ياسر هنا المكان . لكن لِمَ تريد الدخول ليلًا على العلويّ ؟

الفضل دَعْ ما لا يعنيك واكتفِ بما امرتك

ياسر سمعًا وطاعةً

الفضل كأني رأيتُ نورًا ساعة دخولي وسمعت صوتًا

ياسر ان الجميع عهدتُهم في سِنَة النوم

الفضل كأني بعلي بن ابي طالب يردُّني مجرّدًا في وجهي سيفًا ذا حدّين (باضطراب) ويتوعدني بالأثنار ان سفكت دمًا زكيًا

ياسر (على حدة) او يريد قتل العلوي ! وانا الشريكُ له في الجريمة !

الفضل ألا ترى احدًا ؟

ياسر لا

الفضل اين مخدعُ العلويّ ؟

ياسر هنا

الفضل	لاقتلنك بسيف جدّك علي (ضجّة)

يحيي	(يخرج) عُذ ايها النذل الخوّان (يدخل جعفر وبعض الخدم)

الفضل	قد اخطأتْ عيناي فنجا العلوي

يحيي	انزعوا عنهُ سيفهُ

جعفر	لا بُدَّ من قتل هذين الخائنين

يحيي	كلاًّ. اغمدوا سيوفكم

جعفر	دعنا نقتلهما

يحيي	امرتكم بحق الابوّة

جعفر	من اراد القتل فهو قاتل وما جزاء القاتل الّا الموت

يحيي	امرتكم بحق سيادتي. ألستُ السيّد في منزلي

جعفر	لا موضع للحلم بمن يغدر بالنيام

يحيي	ان المعجلة عاقبتها وخيمة (ينظر الى سيف الفضل الملقى على الارض ويقلّبهُ)

جعفر	ذو الفقار سيف الرشيد (١

يحيي	هو هو

جعفر	بئس المكر وقبحاً للذويه

يحيي	قد ظهرت اعمالكَ يا ابن الربيع وانهتك الحجاب عن دناءة اصلك (٢ وانحطاط قدرك وخساسة طبعك فلا حاجة لتدنيس سيف برمكي بدم لئيم غدّار او عبد خائن (يشير الى ياسر). حلّوا رباطهما. اذهبا واعلما مَن ارسلكما ما سمعتما ورأيتما

الفضل	لَسفكُ دمي اهونُ عليَّ من عفوكم. والله سانتقم شرَّ انتقام واتبع العلوي على طريق خراسان فاشفي غليلي من دمهِ وأُوقع بكم كبيراً وصغيراً

---

١) ابن الاثير (٥ : ٢٢١) والمشرق (٣ : ٥٧٦)

٢) كان الربيع ابو الفضل لقيطاً والفضل هذا مربياً بالفواحش. اطلب الفخري (٢٢٩–٢٤٠) وسائر المؤرخين

ياسر وانا سأُطلع الرشيد على اسراركم وأبلغهُ يا جعفر امر الحسن والحسين (١) ومروقك عن الدين

جعفر يا لله (يخرج الفضل وياسر)

يحيى اذهبا الى لعنة الله. وانتم عودوا الى أمر تكم (يخرج الخدم)

المشهد السابع

يحيى. العلوي. جعفر (جعفر على حدة مضطرب)

جعفر ما هذه الجلبة؟

العلوي أصحيح أنْ لصاً اراد بكم شرّاً؟

يحيى نذل لئيم الفضل بن الربيع ارسلهُ الرشيد ليقتلك بسيف جدّك

العلوي ذو الفقار (يقبّلهُ) اعدّه عليٌّ للكفرة وابن هاشم يجرّده على العلويين

يحيى ستلحق بك الجنود على طريق خراسان فالبث في بغداد متنكراً

العلوي لا يجمل بي ان ادعكم هدفاً لسهام الرشيد واتجو. فها انني سائر اليه فريسة باردة يكون فيها خلاصكم

يحيى كلّا لا نرضى بذلك. على الحرّ انجاز ما وعد. فقد أمّنتُك يوم دعوتك من الديلم فلا اخفر الان ذمتي

جعفر انا اموت عوضاً عن الجميع

يحيى سألتك بالله ألّا تتأخر عن الذهاب فان بقاءك لا ينجينا وفيه هلاكك. ونحن فعلى الله توكّلنا

العلوي ساقضي ما امرت. اللهم لا تدع الحق يغلبه الباطل (يخرج العلوي وجعفر)

المشهد الثامن

يحيى . جعفر

جعفر (باضطراب) اسمعتَ ما توعّدني بهِ ياسر؟

(١) يُلمّح الى قصة العباسة اخت الرشيد مع جعفر وولديهما الحسن والحسين والى ما نُسب الى جعفر من الزندقة

يحيي قد جرى ما جرى وليس دبارنا الا بالله . ان نفسي تحدثني بوبال قريب (١

جعفر وانا كذلك فقد ركبت امس الى كنيسة فوجدت على احدى جدرانها حجراً
عليه كتابة لا تُفهم فأحضرت تراجمة الخط فاذا فيها ابيات تشاءمتُ منها

يحيي لم أوصكَ ألا تسيرَ الى الكنائس جهاراً فيرمينا الناس بالزندقة (٢

---

١) ذكر المؤرخون أنَّ يحيى البرمكي رأى في نومه رؤيا تنبئهُ بقرب زوال نعمتهِ . اطلب ابن عبد ربّه (٣: ٢٦)

٢) حكى ابن بدرون (٢٢٤) وابن خلكان (١: ١٣٦) والمسلاوي (٩٥) أنهُ لمّا توهم جعفر التغيّر من الرشيد ووصل الحيرة ركب الى كنيسة بها لبعض الامر فوجد فيها حجراً عليهِ كتابة لا تُفهم فاحضر تراجمة الخطّ وقال في نفسهِ : قد جعلتُ ما فيهِ فألاً لِما اخافه من الرشيد وارجوه . فقُرئ فاذا فيهِ :

ان بني المنذر عامَ أنقضوا بحيث شاد البيعةَ الراهبُ
اضحوا ولا يرجوهمُ راغبٌ يوماً ولا يرهبُهمُ راهبُ
واصبحوا أكلاً لدود الثرى وانقطع المطلوبُ والطالبُ

فحزن جعفر وقال : ذهب والله امرُنا

ونقل ابن قتيبة في عيون الاخبار (٧١) شعرين للاصمعي في البرامكة وهما :

اذا ذُكر الشرك في مجلسٍ انارت وجوه بني برمكِ
وان تُليت عندهم آيةٌ اتوا بالاحاديث من مزدكِ

ولعلَّ الصواب من مزدك والمزدكية شيعة معروفة . ونقل غيره لشاعر آخر :

ان الفراغ دعاني الى ابتناء المساجدْ
وان رأيي فيها كرأي يحيى بن خالدْ

وقد جعل كثير من المورخين سبب نكبة البرامكة او احد اسبابها ما عُزي اليهم من الزندقة والالحاد . كرر الشكوى الطبري (٣: ٦٦٦) ناقلاً كلام محمد بن الليث في جعفر البرمكي حيث سمّاهُ : « جاحد يكيد الاسلام واهلهُ ويحب الالحاد واهلهُ » اطلب خلا ما ذكرنا سالفاً الشبراوي في كتاب الاتحاف (٢٤٩ و٢٥٢) حيث ذكر علاقات ابي قابوس النصراني مع البرامكة . والاربلي (١٠٦-١٠٧)

وزد على ذلك ان الرشيد تنمّر على النصارى بعد فتكه بالبرامكة فقتل الدمشقي المتنصّر ابا الروح وهو المعروف بالقديس انطونيوس الهاشمي ذكره ابن العبري في تاريخه المدني (طبعة بيجان ص ١٢٢) والبيروني (٢٩٢) اطلب المشرق (٥: ٨) وتجد خبرهُ في احدى المخطوطات القديمة المحفوظة في مكتبتنا الشرقية

اخبر الطبري في تاريخ سنة ١٩١هـ (٨٠٧ م) ان الرشيد امر بهدم الكنائس بالثغور وكتب الى السندي بن شاهك يأمره بأخذ اهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئةَ المسلمين في

جعفر: كنت اظنّ ما رأيتهُ من كيد الرشيد سحاباً يمرّ وشيكاً وسكرةً يُفيق من سورتها

يحيي: فقد كذّب العيان ظنّك. [اما انا فقد حنّكتني الايام فرأيت الخلفاء العباسيين يتتابعون سائرين على الغدر والجور لا يذكرون احسان محسن ولا صدق خادم. دولتهم ذات خداع ودها.. ولولانا لاضطرب حبلهم وذهبت دولتهم. اذاً اليوم فقد داخل الرشيد حسد بني هاشم وبغيهم فسوف يكفر بنعمتنا ويفتك بنا] (١

جعفر: ان كان الامر كذلك فجزاء سيئةٍ سيئة مثلها. الظلم بالظلم والبادئ اظلم

يحيي: سكّن الجاش فاليوم يوم الرويّة

جعفر: ما قامت دولة بني العبّاس الّا بنا اما كفى الرشيد أنّا تركناهُ لا يهتمّ بشيء من امر نفسهِ وولده وحاشيتهِ ورعيتهِ وملأنا خزائنهُ اموالًا

يحيي: كم نهيتك عن منادمتهِ فلم ترتدع فكانت دالّتك عليهِ اصل كل شر (٢

جعفر: اليس هو الذي اجبرني على الامر؟

يحيي: وقد باريتهُ بالكرم

جعفر: هو مالنا حلالًا جمعناهُ وكرمًا فرّقناهُ

يحيي: ان الملوك لا تحتمل المباراة

جعفر: اني لا أبالي فان البرامكة امراء البلاد لهم تخايع الجنود والقوّاد

يحيي: خفّض من كلامك

لباسهم وركوبهم». وقال المسعودي (٦: ٣٦٣) في سبب نكبة البرامكة: «امّا الظاهر فاحتجان الاموال وانهم اطلقوا رجلًا من ابي طالب كان في ايديهم واما الباطن فلا يُعلم وقد ذُكرت اشياء والله اعلم بها». فهل هذا الباطن والسرّ الذي لا يُعرف هو ميلهم للدين النصراني؟ والله اعلم

١) منقول بحرفهِ عن المسعودي (كتاب التنبيه ٣٤٦) والفخري (٢٠١-٢٠٢) والطبري وغيرهم

٢) اخبر الميلاوي (٢٠) قال: كان يحيى ينهي ابنهُ عن منادمة الرشيد ويقول لهُ: إن مَن شدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم. حتى انهُ قال للرشيد: يا امير المؤمنين انا اكره مداخلة جعفر لك ولست آمن أن ترجعَ العاقبةُ عليَّ منك. اطلب ايضاً الطبري (٦٧٦)

جعفر اني غدًا سائرٌ اليهِ فان جاهرني بالعداوة جاهرتهُ بها

يحيى لا تجاهر واذهب مسرعًا وأعدّ لنا ملجأً في خراسان نحتمي بهِ فان نجونا اليوم لا نجو غدًا. فقد دبّت عقارب السعاية من كل جانب واشتاق علينا الظالمون كل سوء وشرّ وتغيّر الرشيد علينا فلا رجاء لنا

جعفر سافعل. أما واللهِ لكأني بالوعيد قد اورى زنادًا يسطع. فمهلًا مهلًا بني العباس فبي واللهِ سهّل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور ازمّتها فلا يكن الكفر بالنعم جزاء الاحسان (يخرج)

المشهد التاسع

يحيى

اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني نعمك عندي فاسلبني — اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني مالي واهلي وولدي فاسلبني الّا جعفرًا (سكوت). اللهم ان ذنوبي جمّة لا يحصيها غيرك. اللهمّ ان كنت معاقبني فاجعل عقوبتي في الدنيا وان احاطت بسمعي وبصري حتى ابلغ رضاك ولا تجعل عقوبتي في الآخرة (١ (تمّ الفصل الثالث)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الرفيق او الدرجة الثانية من الدرجات السفلى

بلغني بعد اشهرٍ انّ الطالب الذي حضرتُ دخولهُ في الماسونيّة برع في «كارهِ» فطلب من رؤساء المحفل ان «يُزاد أجرتهُ (٢» فيُرقّى الى درجة فوق درجتهِ وهو يتلهّب شوقًا

---

١) ابن الاثير (٦: ٦٣) والفخري (٢٨٦) وابن عبد ربّهِ (٣: ٢٦) والطبري (٦٧٤)

٢) هذه صورة رسالة رسميّة كتبها من عاليه في ٣ ك ١ سنة ١٩٠٩ طالب ماسوني (نسكت عن اسمهِ) يلتمس فيها ان يرتقي الى درجة رفيق:

حضرة رئيس واعضاء محفل السلام الموقّر

غب المصافحة الاخويّة (الماسونيّة) ابدي بما انّهُ قد مضت عليّ المدّة القانونيّة وانا بدرجة

ليعلم شيئاً من الاسرار التي وُعد بكشفها له اذ تحقّق انّ المصافحة الماسونيّة ومعرفة الانوار الثلثة الكبيرة (اي كتاب الرسوم الماسونيّة ثم الزاوية والبيكار) والانوار الصغيرة (اي الشمس والقمر والرئيس المحترم) مع الوقوف على اسماء جاكين وطوبلقاين ورموز والصفّقات والرقصات وبقيّة السفاسف الماسونيّة ما كانت لتشفي حرقتهُ وتنقع غلّتهُ. وكان امتحن بالخصوص لدى فكرهِ انّ النور الذي لاح لأعينهِ في شركة الماسون لم يخرجهُ بعد الى سنّ الرشاد اذ عمر الطالب لا يتجاوز الثلاث سنوات. فيا لله اهذه هي المواعيد التي خدعهُ بها الاخوة ! ولكن كيف يرجع القهقرى بعد الأيمان المحرّجة التي ربط بها نفسهُ امام فئة الماسون ؟ فحدا بهِ خجلهُ من حالتهِ الى ان يطلب التقدّم في الماسونيّة لعلّهُ يرى في الدرجة الثانية ما لم يَفُز بهِ في الاولى. فوعدوهُ بتقدير شغلهِ « وزيادة اجرتهِ » (بالمقلوب)

فلمّا تعيّن يوم ترقية الطالب الى درجة الرفقة طلبتُ الى اخي « الجاسوس الجزويتي » بأن يتمني بهذا اللقب الثاني فاروّح بالي عن اشغالي المتراكمة بحضور تلك الحفلة الهزليّة. فأجاب الى ملتمسي واطلعني بالكلمة السرّية التي يجب الاعلان بها قبل ان يفتح لي الحاجب باب المحفل. فكانت هذه المرة « شبولت » اي سُنبلة اشارة الى ما ورد في سفر القضاة (١٢ : ٦) فاتقنتُ لفظها لئلا يصيبني ما اصاب الافرائيميين لمّا قُتلوا لسوء لفظهم هذه الكلمة فكانوا يقولون « سبولت » فلا يحسنون تهجية الشين

وفي عشيّ احد أيام آذار اذ كان الليل دامساً والمطر متهاطلاً — والماسون يغتنمون تلك الليالي لاجتماعاتهم خوفاً من العيون الراصدة — سرتُ واخي الجاسوس الى « محفل لبنان » حيث كان يترأس الاخ ∴ ن. ج. وينوب عنهُ الاخ ∴ ر. ش. ولم يكن وقتئذٍ الاخ شاهين مكاريوس الأكاتم اسرار وهو الذي صار بعدئذٍ احد احبار الماسونيّة المعظّمين وقد سبق انّ مجموع القابهِ الشرفيّة ينيف على خمسة عشر سطراً. وكان احد مديري المقتطف الاخ ∴ ف. ن. خطيب المحفل وكانت سوق الماسونيّة وقتئذٍ رائجة واسعارها غالية يدفعون للدخول فيها ١٢ ليرة . امّا اليوم فلا تتجاوز الليرة او الليرتين (يا بلاش !) مما يدلّ على هبوط سوقها. وكان طالبنا قد دفع ذلك المبلغ عند دخولهِ

المبتدي اليتُ بريضتي طالباً « زيادة اجرة » كي ازداد نشاطاً في خدمة العشيرة (الماسونيّة) ومهندس الكون العظيم يحفظكم اخوكم ∴

الّا انّ الشرف الجديد الذي كان ينتظره بترقّيهِ الى درجة الرفيق « زيادةً لاجرته » اقتضى ان يسأف دفع ثلاث ليرات أُخرى

فدخلنا المحفل وكان مزدانًا على التقريب مثل زينتهِ يوم قبول الطالب الّا بعض الرموز والاشرة والعلامات التي يخصّون بها هذه الحفلة فيعلّقونها على الجدران فترى مثلًا فوق رأس « حضرة المحترم » شعارًا من الورق الشفّاف على شكل نجم ذي خمس زوايا في وسطهِ الحرف (G) السرّي (انظر الصورة في العدد السابق ص ٢٨٨ ع ١ و ٦) و ينيرون هذا الشعار بسراج من ورائهِ . ولهذا النجم صورة ثانية يجعلونها من جهة الشرق يدعونها « الكوكب الساطع » (Etoile Flamboyante) . وفي صدر المحفل طاولة عليها كُرَتان تمثّلان الواحدة الكُرَة الارضيّة والأُخرى كرة السماء مع بعض الآلات الماسونيّة التي تدخل في « تكريس » الرفيق . ويمينًا وشمالًا العمودان جاكين وبعوز فوقهما كُرَتان مع الرموز التي مرّ وصفها وتصوير اشكالها اعني المطرقة (الشاكوش) والزاوية والشاقول والمثلّث والبيكار المفتوح الرأسين الى فوق . وعلى جانب العمود جاكين الحجرُ التشيم الذي ذكرناهُ . وفي اطراف المحفل واعاليهِ صور النجوم والشمس والقمر الى غيرِ ذلك من البهرجة التي اعتادها الماسون ليؤثّروا في مخيّلة الاغرار ويوهموا البسطاء بهذه المظاهر انّ شيعتهم مشروعٌ جليل فينبهروا من هذه التهاويل الباطلة

ولمّا انتظم المحفل ولبس الاخوة شاراتهم الشريفة وتحقّقوا كالمرّة السابقة انّ « الهيكل نظيف » لم يدنّسهُ احدٌ من الدخلاء بل لم يحضرهُ احد من طلبة الدرجة الاولى طرق الرئيس هذه المرّة بمطرقتهِ خمس طرقات . فانتصب الاخوة وطرقوا مثلهُ صارخين: « هوزه ! هوزه ! هوزه ! » فاردف المحترم: « الزموا مكانكم أيها الاخوة » فجلسوا

ثم عمد المرشد الى الطالب الذي كان قائمًا ينتظر اوامر الرؤساء . وعلى صدرهِ متزر (وزرة) درجتهِ معلّق اعلاهُ في عنقهِ كالصغار ولا يجوز لهُ ان يتمنطق بهِ الّا على هذه الصورة ما دام طالبًا وسنّ الطالب كما سبق ثلاث سنوات . فجعل المرشد في شمالهِ زاويةً وامرهُ بان يحملها على كتفهِ كالقامل ثم قادهُ الى باب « الهيكل » فبعد الطرقات والاسئلة والاجوبة المألوفة عن الطارق واسمهِ وحالتهِ سأل المحترم الاساتذة والرفقة عن تصرّفهِ (بالمعنى الماسونيّ) فمدحوا بينهم ثمّ ضربوا بها اتخاذهم اشارة الى رضاهم

فتقدَّم الطالب ماشياً مشية درجتهِ ممثلًا ثلاث مرّات صورة الزاوية بعَقِب رجليهِ وسلَّم على الرئيس وقام بين العمودين منتصباً ورجلاهُ على صورة زاوية. فاخذ « المحترم » يُلقي عليهِ الاسئلة ويحمد نشاطهُ في درجتهِ الاولى ويعدهُ بإيقافهِ على اسرار جديدة من الماسونيَّة ثم امرهُ بالجلوس في جهة الجنوب الشرقي فجلس وبقربهِ الاخ .·. المرشد فتلا هذا على مسامعهِ خطاباً طويلاً روى لنا زبدتهُ جناب « السامي العظمة » شاهين بك مكاريوس « استاذ اعظم المحفل الأكبر الاورشليمي ... ومؤسس محفل مكاريوس لدرجة الاساتذة المعلّمين ... وحائز لدرجة النخل والصَّدَف ودرجة ٣٣ وغيرها .. ورئيس محفل ادريس الخ الخ » في كتابهِ المعنون « كتاب الاسرار الخفيَّة في الجمعيَّة الماسونيَّة (١ (ص ٥٣)

« انَّ كانت الماسونيَّة علماً تاماً (وشيئاً سامياً) فحينما كنتَ بتدئاً جلستَ في جهات الشمال الشرقي من المحفل وقد جلستَ الآن في الجنوب الشرقي (فطوباك طوباك لهذا الترقي) ليتبيَّن لك التقدُّم الذي صرت اليهِ في العلم (ايّ علم ؟ وماذا تعلَّم ؟) فانَّك صرت تلميذاً بنَّاء حرًّا (وكان من قبل عبدًا !) عادلًا مستقيماً (ما اسرع ما تعلَّم العدل والاستقامة في الماسونيَّة !) واني الآن اوصيك وصيَّةً (افتح اذنيك !) وانا واثق منك ان لا تتحوَّل عنها مطلقاً (بنعمة الروح الماسوني !) وتتذكرها دائمًا وهي ان تستمرّ على ملازمة الادب والفضيلة والصدق (وكل هذه الاشياء لم يتعلَّمها الانسان الَّا بفضل الماسونيَّة !) ويجوز لك الآن (وغير الماسون لا يجوز لهم ذلك !) ان تمدّ نظر البحث الى اسرار الطبيعة والعلوم التي كانت مستورة عنك (فالماسونيَّة اذن هي محتكرة العلوم والبحث عن اسرار الطبيعة وغيرهم جهَّال بُكم عميان !) »

واردف جناب البك قائلًا: ثم يقدّم له آلات العمل المختصَّة بالبنَّائين الاحرار وهي الزاوية القائمة وخيط الشاغول ويقول له (ص ٥٤):

« انَّ الزاوية القائمة تنظم بها وتضبط جميع زوايا المباني وبها تصير المادَّة المنشية بالشكل اللازم المطلوب (ما احذقكم يا ماسون باصول البناء !) والميزان لتسوية الاوضاع الافقيَّة وتحقيقها (ان كنت تفهم ايها القاري فبالك !) وخيط الشاغول لضبط الاوضاع الرأسيَّة وتمكينها على اساساتها. وبما اننا معاشر الماسونيين لسنا بنَّائين فعلًا بل بنَّائين رمزًا (والمساكين بنَّائين قولًا ورمزًا !) فتطبّق هذه الآلات على آدابنا (التي عدم الملامة لها علامة!) هكذا (اسمعوا خطاب قرد القاموس السحريّ وافهموا !): الزاوية القائمة للادب والتهذيب. والميزان للمساواة. وخيط الشاغول للعدالة والاستقامة في الاعمال مدَّة الحياة وبالادب والتهذيب والاستقامة وحسن

١) هذا الكتاب من أكذب الكتب الماسونيَّة وُضع كبقيَّة التآليف المطبوعة في بلادنا عن الماسون لتنظيم الشيعة وستر اسرارها الصحيحة تحت ظواهر فرية خادعة

التّصعّد تمشّم (١ في الارتقاء الى منازل الخلد (والماسونيّة كما اثبتنا تنكر وجود حياة أخرى) التي هي مصادر الاعمال الصالحة (كذا) »

ثم قام الرئيس ثانيةً وقام معهُ الاخوة واستلُّوا سيوفهم وتلوا دُعاء كالادعية السابقة الى مهندس الكون الاعظم (وهذا الدعاء يُتلى فقط في المحافل التي تحافظ بعدُ على ذكر ذلك المهندس) . ثم سأل « المحترم » الطالبَ أهو مستعدٌّ للامتحانات الجديدة التي يريدون بها اختبار فضلهِ وصدق نيّتهِ . فأمّن الطالب وجعلوا يبرهون عليهِ بالسياحات كما فعلوا عند قبولهِ طالباً الّا انّ السياحات هذه المرّة رمزيّة عقليّة كما يزعمون والغاية منها ان يشربوهُ بعض جرعات من الخمر الماسونيّة او قل بالحري ان ينفثوا فيهِ شيئاً من سمّها

فالسياحة الأولى هي سياحة العلوم (١) فسألوهُ ما رأيهُ في العقل البشري وفي اصل العالم وتكوينهِ وفي بعض العلوم الطبيعيّة . والجواب على هذه الاسئلة مدوَّن في دفتر فكان الطالب يقرأ كل جواب (ما اشطرهُ !) فيزيد الرئيس على جوابهِ ملحوظات أخرى فيها تلميحات الى تعاليم الاديان لاسيا النصرانيّة وتكذيبها بوجه خفيّ أن ذلك ما قالهُ عن اصل الدنيا وتركيبها وقِدَمها مثبتاً لرأي القائلين بقِدَم الدهر ومقابلاً بين اقوال بعض الفلاسفة الوثنيين او الملحدين وآيات الكتاب الكريم مشيراً الى نفي هذه دون تلك . فسمعتهُ يقول (٢ ما تعريبه :

« انّ عالمنا هذا هو إله الفلاطونيين الذي دعوهُ « الكلّ العظيم » . . . قد زعمت التوراة ان تكوين الدنيا سبق المسيح باربعة آلاف سنة (٣ الّا انّ تاريخ الصينيين و بعض الامم الشرقيّة يرقون تكوين العالم الى مئين من ملايين السنين (كذا) . والفلاسفة يكذّبون كل هذه الاقاويل والخرافات . فانّ علم النجوم وعلم طبقات الارض اصدق من تلك المذاهب الباطلة . وكان موسى يظنّ انّ العالم لا يشمل على شيء سوى سيّارتنا هذه (٤ وانّما موسى قد غلط في زعمهِ هذا غلطاً فظيعاً (وافظع منهُ كذب الماسونيّة) . . . »

١) تمشّم في كتب اللغة "يبس" . فما احسن اختيارهُ لهذه اللفظة للدلالة على يُبْس الماسونيّة وعُقْم ثمرها ٢) اطلب كتاب راغون وكلافل السابق ذكرهما ص ١٢٧ و ٢٣٢
٣) قد قلنا مراراً عديدة انّ التوراة لم تثبت تاريخاً للعالم وما ورد فيها من ذلك لا يدلّ على سلسلة متواصلة ولذلك تعدّدت الاراء حتى بلغت نيفاً وخمسين رأياً بين آباء البيعة ومفسّري الكتاب المقدّس . والكنيسة لم تبتّ في ذلك حكمها . وعليهِ فلا بأس ان يقال انّ العالم كوّن منذ الوف عديدة من السنين ٤) اين علّم موسى هذا التعليم ؟ فانظر خيانة الماسون

وفي بعض المحافل التابعة للطريقة الاسكتلنديّة يلقون فيها اسئلة على الطالب في واجبات الانسان نحو قريبهِ ونفسهِ وكثيرًا ما يسكتون عن اسم الخالق عزّ وجلّ والفرائض التي يجب على المخلوق القيام بها نحوهُ كأنهُ تعالى لا وجود لهُ

ثم قام الاخ ∴ المرشد ونزع من يد الطالب الزاوية فجعل بدلًا منها مطرقةً ومقراضًا ودار بهِ حول المحفل حتى وصل الى جهة الغرب وأراهُ هناك شعارًا مكتوبًا عليهِ اسماء الحواسّ الخمس فأقرأهُ اياهُ وعاد بهِ الى مكانهِ فالقى عليهِ المحترم خطبةً على حواسّ الانسان ومعناها وفائدتها وكيف تُبنى عليها المعارف البشريّة ملمّحًا الى بطلان العلوم الدينية التي تفوق مشاعر الآدميين. وختم خطبتهُ بشرحهِ لهُ معنى «النجم الساطع» قائلًا انَّ هذا الكوكب من شأنهِ ان ينير عقلهُ ويوقفهُ على واجباتهِ في الماسونيّة لصلاح الانسانيّة وازالة الاوهام من عقول البشر

ووليت هذه السياحة الاولى سياحةٌ ثانية تدعى السياحة الهندسيّة فقاد المرشدُ الطالبَ بيدهِ حول المحفل الى قرنة أُخرى وجد فيها كتابةً تحتوي اسماء الطُرُز الهندسيّة الاربعة اي الدوريّة والايونيّة والقورنثيّة والطراز المركّب. فلمّا رجع الى مكانهِ شرح لهُ الرئيس معنى تلك الطُرُز الهندسيّة ناسبًا الى الماسونيّة شيئًا من مفاخرها زورًا

وفي السياحة الثالثة أَرَوهُ اسماء الفنون الجميلة: الادب والهندسة وعلم النجوم والرياضيّات فأعقبها الرئيس بخطبة ثالثة عن معناها خالطًا الغثّ بالسمين

وفي السياحة الرابعة وجّهوا نظر الطالب الى الكرّتين المثّلتين للارض والسماء. وجعل الرئيس يتشدّق بمعانيها الرمزيّة على طريقة مضحكة فيخلط في كلامهِ بين اقوال الفلاسفة وبعض اقوال السيّد المسيح مشيرًا بان المسيح كأحد الفلاسفة الاقدمين لا فضل لهُ عليهم

وخُتمت هذه السياحات بسياحة خامسة سار فيها الطالب فارغ اليدين (وكان في السياحات السابقة يحمل بعض ادوات الفعلة) فداروا بهِ في قاعة المحفل ثم عاد الى مكانهِ فخاطبهُ الرئيس مرّةً خامسة بتعظيم الشغل عمومًا والشغل الماسوني خصوصًا

وامرهُ بعدها بان يضرب بمطرقتهِ على «الحجر الغشيم» ثلاث ضربات ثم قال لهُ بأنَّ الهيأة الاجتماعيّة كهيكل عظيم دُعي الماسون الى تشييدهِ (اعني تقويضهُ) فكلّ اخٍ مدعوٌ ليكون عاملًا في هذا البناء. والعلوم التي رأى رموزها في سياحاتهِ انّما هي الادوات

لهذا العمل · وكانت في خطبة الرئيس تلميحات الى تعاليم النصرانيّة التي يزعم انها مناقضة لتلك العلوم فبذر في عقل الرفيق بذوراً من الشكّ في الاسفار المنزلة والمعتقدات الدينيّة يطول شرحها · وكفى بما روينا سابقاً ادلّةً ناطقة على نيّات الماسون السيئة وما تكنّهُ صدورهم من البغض لكل دين ولكل وحي

وقد ختم الماسون هذا اللعب الثاني لقبول الرفيق برتبة «تكريسهِ» كما فعلوا مع الطالب وذلك أنهم اقاموهُ بازاء الهيكل الماسوني وطلبوا منهُ ان يجدّد القسم الذي حلف بهِ سابقاً أنّهُ لا يكشف شيئاً من اسرار الماسونيّة حتى على اعزّ اهلهِ واصدقائهِ وانهُ اذا حنث بيمينهِ يرضى بان يُسلّ قلبهُ من صدرهِ وتُقطع اعضاؤهُ اربًا · فقام الرئيس وجرّد سيفهُ فجعلهُ على رأس المترشح واعلن بموجب السلطان المُعطى لهُ من المجلس الماسونيّ الاعلى أنّهُ يقبل فلان الفلاني في عداد الرفقة · وبعد ان طرق خمس طرقات بمطرقتهِ على صفيحة السيف نزل من عرشهِ الى الرفيق وقبّلهُ على خدّيهِ وفمهِ · ثمّ عاد الى كرسيّهِ وشرح لهُ ما اكتسبهُ من الحقوق بترقيتهِ الى هذه الدرجة اخصّها انهُ لا يعود يعلّق وزرتهُ الماسونيّة في عنقهِ كالصغار لكن يثنيها على بطنهِ (يا لشرفهِ !) وانهُ منذ الآن فصاعدًا يمكنهُ الجلوس عند العمود الجنوبيِ وغير ذلك من الامتيازات والانعامات التي تسحر العقول وتفتن الالباب بعزّها وعظمتها

وعلّموهُ كما فعلوا بالطالب الاشارات واللّمسات الجديدة والمصافحات التي يتعارف بها الرفقة والاخوان وما هي الكلمات السريّة التي يجب عليهِ ان يتقنها ليفتح بها ابواب الفرج لدى رصفائهِ · وكذلك لقنوهُ المشية الخاصّة بدرجتهِ وبقيّة الخزعبلات (الزعبرات) التي يطول هنا شرحها وافادوهُ أنهُ بلغ السنة الخامسة من عمرهِ (طلعت اسنانه !) واعطوهُ كرّاساً فيهِ عدّة اسئلة واجوبة يطرحونها عليهِ كشبه التعليم اوّلها :

س أرفيقٌ انت ؟

ج نعم (بنعمة الاخوة الماسون وخرافات الماسونيّة !)

س اين كان قبولك ؟

ج في محفل عادل وكامل (كوّبس ورخيّص وابن الناس !)

س لايّ سبب طلبت قبولك بين الرفقة ؟

ج لأعرف الحرف ج (G) (فيكون مسك الحرف !)

وقس على هذا بقيّة الاسئلة الموافقة لطفل عمرهُ خمس سنوات (لا يميّز بعد الالف من المادنة) نستحي ان نُضيع وقتنا باطالة الكلام فيها

الاستاذ وهي الدرجة الثالثة في الماسونية

هذه الدرجة كمال الماسونيّة يبلغ فيها الاخ سنّ الكهولة (اي سنّ السبعة) ويحقّ له ان يترشّح من بعدهِ للرئاسة بين اخوتهِ ∴ ومن ثمّ يسهل عليه لطلب هذه «الزيادة المطلية في الاجرة» ان يفتح ثالثة كيسهُ ويؤدي للمحفل هذه المرّة ايضاً خمس ليرات ليس الّا !!

وكنت دائماً اسمع انّ حفلة قبول الاستاذ في الماسونيّة اوقع في القلوب من سواها تظهر فيها تلك «المشيرة» في هيئتها الصحيحة فرغبتُ الى اخي «الجاسوس الجزويتي» هذه المرّة ايضاً ان يفتح لي الابواب الموصدة فأحضر هذا اللعب الثالث او قل هذه «الأساة» لانّ «تكريس» الاستاذ اشبه بالرواية الفاجعة في المراسح على الاقلّ في ظواهرها ان لم نقل في باطنها

ففي احد ايّام آذار عُقدت حفلة من هذه الشاكلة في «محفل السلام» ودُعي اليها «اخي الجاسوس» فتستّرتُ انا بأذيالهِ واختلستُ اللفظة السرّيّة فانفتحت امامي بقوّة «خاتم سيّدنا سليمان» ابواب الاسرار الماسونيّة (١

وكان «الهيكل» الماسوني في ذلك اليوم لابساً حدادهُ وجدرانهُ مغشّاة بالاسود وهم يدعون الهيكل وقتئذٍ باسم «حجرة الوسط» وجهتهُ الشرقيّة «دهيير». وكانوا جعلوا على السواد شققاً بيضاً ورموزاً محزنة كجماجم وعظام وهياكل موتى وما اشبه منها حمراء ومنها بيضاء. امّا جهة الشرق فكانت مكسوّة بالزرقة عليها شقق من الذهب وكان الهيكل مظلماً في جهتهِ العليا لا يخفّف ظلمتهُ سوى نور شمعتين ليقرأ المرشدان دورهما (وقت اللعب !). وكانوا اعدّوا نورين اخضرين من جهة الشرق مع عدّة انوار لتوقد في وقتها فتبهر النظر بزخرفها

---

١) المعلومات التي نثبتها هنا مأخوذة من كتب الماسون الرسميّة اخصّها الكتاب الفرنسويّ المطبوع في باريس بامر المجلس الماسوني الاعلى سنة ١٩٠٦ وهذا عنوانهُ Instruction pour le 3e Grade Symbolique-MAITRE-*Paris, Secrétariat général du G∴ O∴ de France, 16 rue Cadet, 1906*

ثم انهم كانوا جعلوا في صدر القاعة دكّةً يجلس عليها الرئيس وامامهُ شبه المذبح وعلى احد جانبي المذبح جمجمة ميت في داخلها شمعة ٠وقدة تزيدها بهجةً ! ٠ وعلى الجانب الآخر السيف الماسوني والزاوية والبركار وامام الرئيس الذي يدعونهُ هذه المرّة « الجزيل الاحترام » مطرقةٌ لكنّها مكسوةٌ بقطن ليُسمَع من ضربانها صوت اجشّ. وعلى جانبي المذبح العمودان جاكين وبوز فوقهما اناءان كآنية مداهن القدماء وامام العمودين يقيم المرشدان وبايديهما لُفافة ورق عليها كتابة

وفي وسط الهيكل امام « الجزيل الاحترام » تابوت أضجعوا فيهِ آخرَ أُستاذٍ دخل في هذه الرتبة ورجلاهُ ممدودتان الى الشرق وهو مسجًّى بشرشف اسود وعلى وجههِ منديل ابيض ملطّخ بالدم وعند قدميهِ بيكار مفتوح وعند راسهِ زاويةٌ ماسونيّة وعند وسطهِ غصن من الاكاسيا (اطلب الصورة)

وكان الاخوة في تلك الحفلة لابسين كلّهم الثياب السود وفي ايديهم القفافيز (الكفوف) البيض وهم يُبقون على رؤوسهم قبعاتهم ويغرزونها حتى تبلغ عيونهم ويمسكون في ايديهم سيوفهم موجّهين برؤوسها الى الارض

فتقدّم الرئيس وجلس على الحضيض عند الدرجة التي يُصعد منها الى المذبح وكانت هيئتهُ كهيئة رجل مكروب كاسف الوجه مضطرب البال لا ينيرهُ سوى نور الجمجمة التي على مذبحهِ ليقرأ دورهُ

فبقي الاخوة في هذه الحالة كالشرق بازاء مشنقتهِ لا ينبسون ببنت شفةٍ كأنهم أُخبروا بموت ابيهم او امهم وهم مع هذا يعضّون على شفاههم لئلّا يأخذ منهم الضحك مأخذهُ

و بعد هنيهة قام « الجزيل الاحترام » وطرق بمطرقتهِ كعادتهِ في الجلسات السابقة وتحقّق لدى المرشدَين والمنبّهَين والحاجبَين انّ « الهيكل نظيف » لا يدنّسهُ (سواي) احد من الخوارج فاعلن بافتتاح الجلسة

وكانوا في اثناء ذلك اخذوا الرفيق المترشّح لدرجة الاستاذ فعرّوهُ من معظم ثيابهِ واخذوا احذيتهُ وعلّقوا في عنقهِ حبلًا طويلًا اداروا بهِ حول وسطهِ ثلاثًا ثم سحبهُ كالمجرم الاخ المتولّي والمرشد الاوّل حتى بلغوا باب الهيكل فطرقوهُ كطرقة الرفيق

فالمحفل لدى سماعهِ هذا الصوت تظاهر انّهُ تأثّر منهُ للغاية وصرخ الجزيل الاحترام قائلًا :

« هذه دقّة رفيق فمن هو ذاك الرفيق الجسور الذي يحضر منا كأنّهُ يريد ان يسخر بوجعنا »

ثم طرق طرقةً وصرخ بصوتٍ ابحّ الى الحارس لينظر من الآتي فبحث الحارس عن الطارق واعلم « الجزيل الاحترام » بالقادم فاضطرب الإخوان لقدومهِ وأبدوا من الاسف اعظمهُ كأنهم وقفوا على قاتل الاستاذ المطروح في التابوت

ثم امر الجزيل الاحترام بادخال الرفيق ليقفوا على حقيقة امرهِ فادخلوهُ حافياً نصف عريان مشنوقاً بحبلهِ وهو يمشي القهقرى ووجههُ الى الباب وظهرهُ الى الشرق واقاموهُ بين العمودين وكان المرشد الأوَّل والاخ الفول ينخسان صدرهُ المعرّى بنصل سيفهما وبقي المحفل صامتاً واجماً مدَّة على هذه الحالة الى ان تفوَّه اخيرًا الرئيس ببعض كلمات متقطّعة وسأل الرفيق ماذا أتى يطلب أوَ ليس هو قاتل ذلك الاستاذ المسكين الذي جثتهُ في التابوت

ثمّ جعلوا يلقون عليهِ الاسئلة ويفتشونهُ ويفحصون ايديهُ وجسمهُ لعلّهم يجدون اثرًا لدم القتيل. ولمّا انتهوا من فحصهم وعرفوا انهُ ليس بالقاتل اخذ الجزيل الاحترام يخطب امامه معظّمًا لمقام الاستاذ الفقيد مطريًا لاعمالهِ الشريفة في الهيئة الاجتماعيّة متهدّدًا الرفيق المترشّح لدرجة الاستاذ بكل ضروب الويلات ان كان خائناً ينوي السوء لجماعة الماسون. وكان يخلط في خطبتهِ عدّة اقوال في الفضيلة (الماسونيّة) وحرّيّة الضمير وغير ذلك مما الفهُ هؤلاء الخطباء المفوَّهون من البلاغة الطنطنة الفارغة المعاني

ووَلِيَ هذا الفصلَ الأوَّل من اللعب فصل آخر يحقّ لهُ ان يُكتَبْ بحروف الذهب لحلاوتهِ

فانّ « الجزيل الاحترام » التفت الى المترشّح قائلًا: « لعلّكَ يا اخي تجهل سبب كآبتنا فلا بُدَّ لن نعلمكَ ما هو الداعي لحزننا »

وللحال اقترب المرشد الاوَّل مع الاخ « الفول » فكشف الواحد الغطاء الاسود عن رأس التابوت وابرز الثاني المنديل الملطّخ بالدم الذي على وجه الضجيع فتأوَّه الرئيس قائلًا:

« اترى ايها الرفيق ؟. فهذا هو الباعث لحزننا والسبب لهطلان دموعنا فانّ احد اخوتنا قد وقع صريعاً وقد قتلهُ بعض الأئمّة الاوباش الذين كانوا من درجة الرفقة مثلك فقُلْ لنا صادقاً أوَ ليس عندك علم بهذه المكيدة الشنعاء ؟

فانكر الرفيق قطعياً واردف الجزيل الاحترام:

« فان كنت بريئاً من دمهِ فعليك ان تزكّي نفسك بدليل محسوس . فاقتربْ من جثتهِ وبيّن برباط جأشك انك لست تخاف من ان يقوم الميت ويبكّتك من اثمك ».

فعاد المرشد والاخ الغول وقرّبا الرفيق من التابوت وهو يمشي اليهِ القهقرى دون ان يراهُ ممثلًا في مشيتهِ هيئة الزاوية (كما ترى في الصورة التي رسمناها) . ولمَّا بلغ قرب التابوت قُضِيَ عليهِ بان يتخطَّاهُ ثلاثاً على هيئات مختلفة وتأكَّد ان في التابوت جثَّةً حتى وصل الى طرف رجلَي الميت وظهرُهُ الى وجههِ بحيث لا يراهُ . فحينئذٍ قام الميت دون ان يحسّ بهِ المترشّح وتملَّص من التابوت فتركهُ فارغاً واختلط ببقيَّة الاخوة

وفي اثر ذلك بلشر « الجزيل الاحترام » بقصَّة القتيل وتفاصيل قتلهِ بعد ان اوجب على الرفيق بالاقسام المحرّجة ان لا يبوح بالاسرار التي يريد ان يكشفها لهُ لاحد من البشر طول عمرهِ . وكان الرفيق في وقت سماعهِ لهذا الخبر الفجيع قائماً وعلى جانبيهِ من ورائهِ قليلًا المرشدان الاوَّل عن يمينهِ وفي يدهِ زاوية من حديد والثاني عن شمالهِ ماسكاً قاعدةً حديديَّة ايضاً

امَّا قصَّة الميت فهذه خلاصتها لا يسعني ان ارويها بتفاصيلها لطولها الممل : زعم « الجزيل الاحترام » انَّ سليمان كان اتَّخذ لبناء هيكل اورشليم استاذاً ماهراً يُدعى حيرام او ادونيرام عارفاً بكل فنون الهندسة حافظاً على اسرارها فحسدَهُ ثلاثة من البنَّائين من ذوي درجة الرفقة يُدعَون يوبيلوس ويوبيلاس ويوبيلوم فطلبوا منهُ ان يفشي لهم بسرّ صناعتهِ وشمار التعارف بين الاساتذة . فابى حيرام وتآمر عليهِ الثلاثة ليقتلوهُ واتفقوا على ان يسدُّوا في وجههِ طرق الخلاص لئلا يفلت من ايديهم . فلقيهُ يوبيلوس اوَّلًا في الباب الجنوبي فضربهُ على امّ رأسهِ

(وبينما الجزيل الاحترام كان يخبر بهذه الضربة طرق المرشد الاوَّل بزاويتهِ طرقةً شديدة على قفا المترشّح فكاد يسقط الَّا انهُ « اكلها على السكت »)

قال الجزيل الاحترام : فلما رأى حيرام ما حلَّ بهِ هرب الى جهة الغرب واذا هناك يوبيلاس مترصّداً لهُ فضربهُ بقاعدتهِ على صدرهِ كادت تقتلهُ

وهنا ايضاً ضرب المرشد الثاني المترشّحَ على صدرهِ بقاعدة الحديد التي بيدهِ ليذيقهُ شيئاً من آلام حيرام . صحّتين !)

قال الجزيل الاحترام وفي آخر الامر فرَّ حيرام الى الباب الشرقي رجاء ان ينجو من اعدائه واذا هناك البنّاء يو بلوم الذي ضربه بشاكوشٍ في جبهتهِ فقتله

(وهنا تكرَّم الجزيل الاحترام بصفعة على المترشح فضربه بيدهِ الشريفة على جبينهِ بطرقتهِ . فكانت ثالثة الاثافي . فبلعها المترشح هنيئاً مريئاً وهو مطنّش . بل تسلَّط عليهِ من ساعتهِ ملاكا الموت اي المرشدان فقلباهُ ظهرًا لبطنٍ وطرحاه شاء ام ابى في التابوت كأنه هو حيرام المقتول بدسائس اولئك الرفقة . وهندسوا جسمهُ وذراعيهِ ورجليهِ على شكل الزاوية الماسونيّة ثم غطّوهُ بالغطاء الاسود وتركوهُ ساعةً على هذه الحالة اللطيفة)

وفي مطاوي ذلك واصلَ « الجزيل الاحترام » رواية حيرام بحيث كان (يسمعها المترشح للاستاذيّة دون ان يرى ما يجري حوله) فوصف ما أُصيب بهِ الفعلة (اصحاب ورشة حيرام) لمّا طلبوا استاذهم فلم يجدوهُ وما قاسوهُ من الآلام ولبسهم الحداد حزنًا عليهِ . وكيف قاموا لينبّشوا على جثّتهِ

وهنا قام الاخوة كلهم وصاروا يدورون في المحفل كأنّهم أُصيبوا بشعورهم لفقد حيرام وصاروا يبحثون في زوايا المحفل لعلّهم يجدون آثارهُ (كما يفعل الصبيان بلعبة الطنّيش) وبعد التيّا واللتي رأوا اخيرًا التابوت الممدود ففكّروا بسرّ ادراكهم انه من المحتمل ان تكون جثّة حيرام في ذلك التابوت فجعلوا يدورون حوله ولا يجسرون ان يقتربوا منهُ (مثل البسينة والجردون) حتى رأوا اخيرًا غصن الاكاسيا فاستدلُّوا بهِ على الميت واخذوا يرفعون بكل احتراس الغطاء عن وجه المترشح (البهلول) فرأوا جثّتهُ فنادوا بالويل والثبور . واخذ جزيل الاحترام « يُنسنِس » الميت فامسك اصبعهُ متلفظًا باسم « جاكين » وكأنّهُ احسَّ بالاصبع تنفصل عن جسم الميت فصرخ : « ماك بناك » اي « انفصل اللحم عن العظام » . ثم اخذ الاصبع الأخرى بقولهِ « بُعوز » فوجدها ايضًا متفكّكةً عن العظام فصرخ ثانية : « ماك بناك » . وهنا حدّثْ عن حزن هؤلاء « المجاذيب » ولا حرج

وبعد هذا ابتدأ الفصل الثالث من هذه الرواية الهزليّة التي هي احقّ بشعوذي النَّوَر منها برجال اصحاب عقل سليم

فبعد ان كفكفوا العبرات (وهي الدموع التي ينسبها الفرنج للتماسيح larmes de crocodile والعرب للصيّاد الذابح للعصافير في شدّة البرد فتدمع عينهُ) . جعل

الاخوة يتساءلون كيف يسدّون مسدّ ذلك الاستاذ الميت وهل يستطيعون ان يحظروا به ثانيةً. فلم ييأسوا من الامر بل ابدوا امامهم بان يفوزوا بالمرغوب

فحينئذٍ اشار الرئيس الى الاخوة « المهندسين للهيكل الماسوني » بان يزيلوا ما فيه من شارات الحداد وينيروا كلّ الانوار المعدّة في القاعة وخصوصاً في جهة الشرق المسمّاة دهبير

وبينما هم يعملون ذلك تقرّب الجزيل الاحترام من المترشّح في تابوته وجعل يحرّكهُ ثم دعا المرشدَين الى مساعدته فاخذوا يقيمون الميت شيئاً فشيئاً دون ان يكشفوا عن رأسه وعينيه لئلا يرى إعداد زينة المحفل ثم جعلوهُ على هيئات مختلفة ليمثّل بها الزاوية الماسونيّة كأنهم بقوّة تلك الزاوية يعيدونهُ الى الحياة فلم يلبث « الجزيل الاحترام » ان يشعر بقيامته فقبّلهُ ثلاث مرّات صارخاً « موابون » اي قام

فابتهج الاخوة وازالوا الحال التابوت من مكانه فظهرت القاعة مشعّة بالانوار كما يجري كل سنة في يوم سبت النور عند احتفال الكنيسة بقيامة المسيح ولا مراء لأنّ الماسون يعملون ما يعملون متقلّدين الكنيسة كما يتقلّد القرد ما يرى صنعهُ امامهُ. ولعلّهم يريدون ان يشيروا الى انّ قيامة السيد المسيح لا صحّة لها كقيامة ميتهم الحيّ

ولا أُطيل الكلام عمّا جرى بعد هذه القيامة الهزليّة فانّ الجزيل الاحترام اوصى استاذنا الجديد الوصايا الطويلة وامرهُ بان يجثو راكعاً امام المذبح ويقسم القسم المعتاد. فحلف بانهُ لا يهتك اسرار درجته وانهُ يخدم العشيرة خدمة نصوحة وانهُ اذا حنث بقسمه يرضى بالذلّ والهوان وصنوف المصادرات وضروب الموت. ثمّ قام الجميع ومدّ الجزيل الاحترام سيفهُ على رأس المترشّح وضرب بشاكوشه على صفيحة السيف تسع ضربات واعلن بقبوله في درجة الاساتذة. وانتهوا من هذه الحفلة الظريفة بأن علّموهُ كيف يمشي الاساتذة وكيف يتعارفون وكيف يتصافحون وما هي شاراتهم والفاظهم السرّية وكم هي السنّ التي بلغوها في درجة الاساتذة وهي السابعة من عمرهم اعني انهم دخلوا سنّ التمييز. وتخرت الحفلة بعد طرقات وصرخات جديدة: هوزه! هوزه! هوزه

هذه هي الرتبة الماسونيّة التي عليها المعوَّل في تلك العشيرة فتراها في سخافاتها وخرافاتها المجاوزة كالرتبتين السابقتين (١. فيا لله كيف يمكن ان بشرًا فيهم ذرّة من

١) وكأنّ شاهين بك مكاريوس « استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليمي الخ الخ » خجل

العقل يلقون بانفسهم في هذه الشيعة التي تسخر منهم وتعاملهم معاملة البهائم وهي توهمهم بأنها تزيدهم رفعةً وتنوّر اذهانهم وتجعلهم من جهة خصوصيَّة فوق رتبة بقيَّة الناس وما هم عندنا الّا افراد اغبياء يتلاعب بهم رؤساء الماسونيَّة تلاعب الهرّ بالفار والصرَّاف بالدينار . ارشدهم الله الى سواء السبيل (لها بقيَّة)

البرتقال ، زراعتهُ وآفاتهُ

للمسيو اوغست جوفر الفرنسوي نزيل بيروت

﴿ تعريفهُ ﴾ البرتقال شجرة من الفصيلة المعروفة بالنارنجيَّة يدعوها العلماء « aurantiacées » هي مترادفة الاوراق عديمة الأذينات ذات زهور بيضاء . فاتحة كأسها قصير جَرَسيّ الشكل وأسديتها مندغمة في صفّ واحد وقلمها اسطراني لها ثمر كرويّ ذو قشرة جلديَّة مُفصَّل الى حُصَص عديدة مؤلَّفة من لبّ ذي عُصار وفيها بزور عديدة

﴿ انواعهُ ﴾ للفصيلة النارنجيَّة ضروب مختلفة اخصّها البرتقال الذي نحن في صددهِ (oranger) والليمون سواء كان حامضاً او حلواً (citronnier) والكبّاد واشكالهُ (cédratier)

﴿ اصلهُ ﴾ اصل النارنج وانواعهُ من بلاد الهند ومنها انتشر في بقيَّة انحاء المعمور كعدَّة نباتات و بقول مختلفة ودواجن الحيوان . وقد ذكر النارنجَ قدماء الكتبة كالشاعر اللاتيني ورجيليوس في قصائدهِ الفلاحيَّة والكاتب اليوناني ديموقريطس وغيرهما كثيرين ممَّن افاضوا في وصف هذه الشجرة وخواصها الصحيحة او الموهومة . ثم عُني العرب بعد ذلك بزراعتها وشاعت في البلاد التي فتحوها كالعجم والشام والاندلس والمغرب والجزائر

من كشف ترَّهات هذه الدرجة فلم يصفها في كتابهِ الاسرار الخفيَّة في الجمعيَّة الماسونيَّة وانما اشار اليها اشارة خفيفة بقولهِ (ص ٨٣) « في هذه الدرجة رمز من رموز القبر والموت اللذين يتبعهما نور البعث » ونحن نعلم انّ الماسون لا يعتقدون مطلقاً بالبعث الّا من يجهل منهم اسرار الماسونيَّة كما بيَّنّا سابقاً

﴿ اسماؤُهُ ﴾ تعدَّدت اسماء هذا الشجر عند العرب حتى وقع فيها بعض التباس فانَّ اشهر اسمائهِ عندهم النَّارنج اشتقُّوا اسمهُ من الفارسيَّة نارنگ اي احمر اللون ومنهُ اخذ الفرنج اسمهُ في لغاتهم مع بعض إبدال في الحروف فقال الاسبانيُّون « naranga » والبرتغاليُّون « laranga » والايطاليون « arancia » والفرنسويون « orange ». ومن اسمائهِ عندهم الأُتْرُج والأُتْرجّ والأُتْرُنج ويقال تُرُنْج وهي فارسيَّة ايضاً وربَّما دلَّ بها البعض على النارنج والاصح انها صنفٌ منهُ كبير الحجم يُعرف في الشام بالكبَّاد ويدعوهُ الفرنج « cédrat » ومنهُ نوعان آخران يدعونهما « ponci-re » او « bigarade ». وقد ذكر الشعراء الأُترجّ قبل الاسلام قال علقمة بن عبدة:

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْخُ العَبِيرِ بها كأَنَّ تَطْيابَها في الأَنْفِ مَشْمُومُ

ثم انَّ كتبة العرب يعدّدون للنارنج عدَّة اشكال منها القسطيّ والقرطبي والصيني.
ومن اسمائهِ عندهم اللَّيم او اللَّيمون استعارةً من الفرس ايضاً وهو الاسم الذي شاع في هذه البلاد الَّا ان الليمون في الاصل نوع آخر وهو المسمَّى عند الفرنج (citron) او (limon) ويكون حلواً او حامضاً ويُدعى الحامض بالمراكبي

امَّا اسم « البرتقال » ويقال « بردقان » و« بردقال » الشائع في القطر الشامي فانَّهُ تعريب (Portugal) كأنَّ اهل هذه البلاد اخذوا بعض اصنافهِ من البرتغاليين فنسبوهُ الى تلك الدولة والصواب انَّهُ من الهند فانَّ المسعودي ذكر في مروج الذهب (٣٣٦:٨) انَّ الخليفة العباسي القاهر بالله كان لهُ « بستان غرس فيهِ النارنج وحُمل اليهِ من البصرة وعُمان ممَّا حُمل من ارض الهند ». وكذلك نقل صاحب الفلاحة النبطيَّة قول الكطامي: « النارنج نبات هندي ويُفلح في البلدان سيما المائلة الى الدفء » وصرَّح بذلك ابن العوَّام في كتاب الفلاحة: « شجر النارنج والأُترجّ المدوَّر جُلب من ارض الهند بعد الثلثمائة (للهجرة) فزُرع بعُمان ثم نُقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يُعهد ولا يُعرَف »(١). ومن شهود العيان على زراعة الليمون في

(١) اطلب كتاب الاب لامنس في الالفاظ المشتقة من العربيَّة Lammens : *Mots français dérivés de l'arabe*, 1887.

سواحل الشام في القرن العاشر للسيح الرحّالة العجمي نصري خسرو فانهُ خصَّ بالذكر في كتابهِ سفر نامه مزارع الليمون الحلو والحامض في حدائق طرابلس (١

امَّا اهل الجزيرة والمغرب فدعوا النارنج باسم « الصينة » كما ذكر ابن العوّام . اشارة الى الصين لظنّهم انَّ النارنج منها . وذكر لهُ ابن العوّام اسمين آخرين لم نجدهما في غيره وهما البستانيون والزمبوع (٢ . ومهما كان من اسمهِ فانهُ يذكر في تربيتهِ فوائد تدلُّ على اعتناء العرب بفلاحتهِ في جهات الاندلس . وممَّن أتسع في ذكرهِ خصوصاً بعض كتبتهم لشيوعهِ في بلادهم كابن العوّام المذكور وابن حجّاج وابن فاضل وابي الخير والكظاني وغيرهم

﴿ خواصُّهُ ﴾ لسنا نتَّسع في بيان خواصّ البرتقال واصنافهِ وقد سبقنا الى ذلك جناب الاديب توما افندي كيّال في مقالتهِ الحسنة عن برتقال صيدا في المشرق (٦ : ٢٨٦—٣٠٠) وانَّا نعلم انَّ كتبة العرب قد افاضوا في شرح منافعهِ غذاء وشراباً ومعالجةً لبعض الادواء وفي اقوالهم الغثّ والسمين الَّا انَّ كلامهم دليل واضح على اعتنائهم بزراعة شجرهِ ودرسهم لطباعهِ وتحبيناً لاشكالهِ وتنميةً لثمرهِ . ولا يزال اهل جنوبي اسبانية الى يومنا يصرفون الهمَّة في تربية البرتقال ولاسيما في مقاطعة بلنسية وانحاء الاندلس . وقد اشتهرت خصوصاً حدائق البرتقال في كرختي وقسطيلونة التي تُرسل ثمارها الى كل جهات اوربة . ومثلها في الحسن مزروعات مرّاكش والجزائر وعلى الاخصّ في بليدة وكذلك انحاء تونس . امَّا برتقال يافا وصيدا فهو اعرف من ان نطرئ في فضلهِ . ولعلَّ بلاد اميركة الشمالية وعلى الاخصّ كاليفرنية هي التي بلغت فيها اليوم مزروعات الليمون الغاية في الحسن ومثلها في جنوبي اوربة . وها نحن نقتبس ممَّا نشرهُ الاختصاصيُّون في ذلك من الابحاث المفيدة في الفصول الآتية

﴿ التربة الموافقة للبرتقال وكيفيّة زراعتهِ ﴾ ذكر المسعوديّ في كتاب مروج الذهب (٢ : ٤٣٩) انَّ النارنج الهنديّ لمَّا نُقل الى العراق والشام عُدِمت منهُ الروائح الخمريَّة الطيّبة واللون الحسن الذي يوجد فيهِ بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة

١) Voyages de Nasri Khosrou (éd. Schefer) 40—١٢

٢) اطلب كتاب الفلاحة طبعة باريس Cl.-Mullet : *Le livre de l'Agriculture d'ibn-al-'Awâm* I 292

والماء وخاصيَّة البلد ». وعلى ظنّنا انَّ في قول المسعوديّ غلوًا ولعل فقدان بعض خواصه الاصلية انَّما كان لقلَّة الاعتناء به . ومما لا يُنكر انَّ الفصيلة النارنجيَّة قابلة للزكاء والنموّ فترى جذورها تتأصّل في اعماق الارض ومن ثمَّ تحتاج الى تربة كثيرة تكون مع ذلك خفيفة ناصعة اللون ولا بدَّ من التعميق في حراثتها الى حد متر ان امكن لتزيد بذلك محاصيل شجرها ولا تقلّ من ٦٠ سنتمترًا بل هذا لا يكاد يكفي لنموّها ووفرة جناها . وشجر البرتقال يأنف من الكلس والاراضي الكلسيَّة . ويستحبُّ الارض الرمليَّة المعتدلة الصلابة الحمراء او السوداء التي يكون باطنها رطبًا فتتوفَّر اثماره وعلى الاخصّ اذا كانت الارض تحتوي شيئًا من النباتات المتحجرة لما تتضمّنهُ من الحامض الفسفوريّ في هيأة فسفات الكلس . واذا كانت التربة بالغة العمق اخذت الجذور مداها من الانتشار وتكون الشجرة زاهية باسقة تعلو الى ستَّة امتار

ويحسن بالزارع ان يجعل بين الشجرتين مسافة كافية تبلغ ستَّة او سبعة امتار لئلا تشتبك اغصانها فتتروح الشجرة ويتلاعب الهواء في الافنان وتنفذ اشعّة الشمس في كلّ اقسامها . هذا اذا كانت التربة دسمة عميقة امَّا اذا كانت الارض ضنينة وصاحبها لا يستطيع ان يصلحها بالسماد المخصب فيكفي ان تُبعَد الشجرة عن اختها مسافة خمسة او ستَّة امتار فقط

وشجرة البرتقال تحتاج الى اربعة عناصر تستمدُّ منها غذاءها وهي الازوت والكلس والحامض الفسفوريّ والبوطاسا . فالازوت قليل في الارض ما لم تحفظ بشيء منهُ مما أُودع فيها قديمًا من نفاية النباتات المتجفّفة بيد انَّ هذا ايضًا ينفد بعد قليل لانَّ جذور الشجرة تمتصُّهُ وتفنيه فلا بدَّ لها من كميَّات جديدة فتُعطى سمادًا وسرقينًا لما في هذه المواد من سولفات النوشادر ونيترات الصودا المحتوية للازوت

ويدخل الكلس في عصارة الليمون وفي نموّ وتركيب أنسجته ولكن لا تحتاج الشجرة منهُ الَّا الى كميَّة نزرة زهيدة وفي الارض غالبًا ما يكفي البرتقال منهُ . واذا زادت في التربة كميَّة الكلس تأذَّت منهُ الشجرة فلا تنمو واصفرَّت اوراقها واتت باثمار صغيرة

والحامض الفسفوري سواء وُجد في التربة او نُقل اليها يكون عادةً على صورة فسفات الكلس ومنهُ مقالع عظيمة في الجزائر يستخرجونها من الارض ويحيلونها الى

الحامض الفسفوري ويجعلونها في التربة فتمتصهُ الاشجار على انَّ الارض تحتوي منهُ على بعض كميات اذا تراكمت فيها بقايا الحيوانات او النباتات المستحجرة . والآن كثيرًا ما يسمدون مسدهُ بالسماد الكيموي الصناعي الشبيه بمقالع تونس والجزائر . ومن المعلوم انَّ جذور الاشجار تحتاج الى كمية وافرة من هذا العنصر فلا بُدَّ ان تعالج الاشجار به كلّ سنة فتُعطى لهذه الغاية شيئاً من سلفات البوطاسا الذي يُباع في المتجر

ثم انَّ للحامض الفسفوري فائدةً أخرى فكما انَّ الازوت يُنمي النبات ويقوي الاغصان واقسام الشجرة الخضراء كذلك الحامض الفسفوري يسعف الشجرة على توليد ازهارها وعقد ثمارها لكنَّ الثمار لا تنضج الآ على شرط ان تنال الجذور من الارض البوطاسا اللازمة لهذه الغاية

هذا وكل يرى انَّهُ من المستحيل ان نعيّن هنا قاعدةً عموميّة لبيان ما تحتاج اليه كل ارض من العناصر المارّ ذكرها لاختلاف التُرَب عن بعضها في التركيب وتباينها في الكمّ والكيف

وما يقال بالاجمال انَّ مسألة السماد من الامور الهامّة في زراعة البرتقال كما في غيره من الاشجار . فانَّ القدماء وقد تبعهم في ذلك الاندلسيّون كانوا يدمّلون مزارع البرتقال بزبل الماعز وروث الخيل والسرجين البشري فتأتي الاشجار بجَنى وافر . على انَّ السماد الحيواني قليل وغالي الثمن فلا يُمكن اصلاح التربة به اذا كان المُلك رحب الفناء متّسع الارجاء . فتقتضي اذن الحاجة الى السّماد الصناعي المعروف بالكيموي وان لم يُحصل عليه يمكن ان يُعتاض عنهُ ببقايات الصوف وقطع الجلد البالية وقُصاصات الشعر والوَبَر التي تحتوي على جانب من الازوت ولا تتحلّل الّا ببطء وطول زمان . الّا انَّ تسميد الارض يحتاج مع هذه المواد الى شيءٍ من فسفات الكلس والبوطاسا

واعلم انَّ السماد الكيموي قد نال في هذه السنين الاخيرة حظوى عند ارباب الفلاحة فاتخذهُ ايضاً اهل جنوبي اسبانية ولاسيما سكّان ولاية بَلَنسية لتسميد مزارع البرتقال . فتحسّنت به الارض وزادت المحاصيل الّا انَّ الطمع لا يعرف حدودًا فانَّ الاهلين اذ رأوا إقبال الناس على ثمارهم ورواج اسواق ليمونهم في جهات البلاد حتى انَّ الزارع منهم الذي كان لا يملك سوى هكتار واحد من الارض امكنهُ ان ينال

بعد قليل ثروة واسعة عوّلوا على زيادة تحسين الثمر وتوفيره أكثر واكثر فاتت الاشجار باثمار عجيبة في كبرها ورونقها الّا انّ ذلك اضرّ بطعمها وافقدها حسن ذوقها وكانت اذا صدرت من بلادهم الى غيرها كفرنسة وانكلترة وهولندة لا تبلغ اليها الّا وتلفت وتهرّأت فحصل من ذلك خسران عظيم حتى كسد سوق ذلك الثمر الاسبانيّ. وجرى لهم ما جرى للدجاجة التي كانت كل يوم تبيض لصاحبتها بيضةً من ذهب فلمّا طمعت هذه في زيادة المحصول وبالغت في علف دجاجتها انشقّت حوصلتها ففقدت الربح الاوّل

واعلم انّ البرتقال ما خلا السماد يقتضيه ماء غزير ففي الصيف ينبغي ان تُسقى الاشجار سقياً متواتراً بحيث لا تبقى جذورها يابسة على عمق خمسة او ستة سنتمترات من وجه الارض

ثمّ يلزم ايضاً ان يُعنى الزرّاع بالشجر ليحفظهُ نظيفاً وينزع عنهُ الاعشاب الفضوليّة التي تُضعفهُ وادراكاً لهذه الغاية فليكرّر فلاحة الارض او نكشها بالمعول فانّ لذلك عدّة فوائد منها انّ اعشاب الربيع اذا استؤصلت بالقلع وطُمرت في الارض اصبحت من افضل السماد للشجر

وقد سبق القول انّهُ يحسُن ابعاد الشجرة عن اختها نحو مترَين فانّ هذه المسافة تفيد الشجر ايضاً من وجه آخر اذ تسمح للزرّاع ان يحرث الارض وحرثها افضل لتوفير الاثمار من النكش الذي لا يُبالَغ بهِ الحفر

ومن الامور المهمّة في تربية البرتقال قطع اغصانه وتقليمها. فانّهُ من المعلوم الثابت بالتجربة انّ الاغصان المنبسطة افقيًا يكثر حَمْلها بخلاف الاغصان العموديّة التي ترتفع الى علٍ فانّها لا تثمر او يكون ثمرها قليلاً جدًا. وهو ملحوظ جدير بالاعتبار في خدمة الشجرة وتقليمها وتوجيه اغصانها حتى تقوى اخشابها ويزيد جناها. ولا بدّ ان تبقى اوساط الشجرة فارغةً خاليةً من الاوراق وتُقطع الاغصان القريبة من الارض. فاذا تمّ ذلك كانت الاثمار متوفّرة كثيرة المائيّة حلوة المذاق

وهذا النوع من تقضيب شجر الليمون قد شاع اليوم في اميركا ليس فقط للاسباب الآنف ذكرها بل لسبب آخر اجدر بالاعتبار وهو سلامة الشجرة من الهوامّ الضارّة. فانّ الفصائل التي نُقلت الى هذه البلاد من اميركا واليابان والصين واوربّة كثيرًا ما

تصحبها الجراثيم المُعْدِيَة والهوامّ والمواد العفونيّة التي تجد في رطوبة الاغصان وسَطاً موافقاً لنموّها فتزداد بعد حين وتنتشر في كل اجزاء الشجرة فتمتصّ كل قوّتها وتُضعفها حتى تذوي او تصبح ضنينة قليلة الأثمار. والحال انّ اشعّة الشمس ونفوذ الهواء بين اوراق الشجرة وافنانها لمن أنجع الوسائط لمقاومة تلك الجراثيم الوبيئة وملاشاتها. هذا فضلاً عمّا يسقط بالتقضيب من الحشرات التي تتراكم على الاغصان فاذا قُطعت هذه تُنقل الى مكان بعيد لئلا تعود الهوامّ فتعيث بالشجرة (لهُ بقيّة)

مجلّة النعمة والاسفار المنزلة

للاب انطون رباط اليسوعي

نشرت مجلّة « النعمة » الارثوذكسيّة مقالة في قانون الاسفار الالهيّة جارت فيه البروتستانت فانكرت وحيَ قسم جليل من الكتاب المقدّس خلافاً لما تعتقدهُ الكنيسة الجامعة عموماً « والكنيسة الشرقيّة اليونانيّة الارثوذكسيّة » خصوصاً وزعمت ان ما ترتئيه المجلّة المذكورة هو معتقد كنيستها تسلّمتهُ من الرسل الاطهار فكانت وما برحت معتصمةً به لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيير. ثمّ حاولت اثبات رأيها باقوال الاباء القديسين كأنّهم يرتئون ما ترتئي

ولمّا كان كلا الزعمين مخالفاً للحقيقة وكانت ١ً الكنيسة الارثوذكسيّة بريئة من التهمة التي وصمها بها صاحب المقالة اذ هي ناضلت كالكنيسة الغربيّة في وجه البروتستانت عن وحي هذه الاسفار الالهية بصوت مجامعها و بطاركتها وعلمائها

ثم كان ٢ً الاباء القديسون شرقاً وغرباً يؤمنون اصدق ايمان بوحي الاسفار المذكورة ويجلّونها ويستشهدون بها استشهادهم بغيرها من الكتب المنزلة

اخذنا على عاتقنا اظهار الحق دفاعاً عن ايمان الكنيسة الارثوذكسية وعن معتقد الكنيسة الجامعة فنشرنا في مجلة المشرق (١٢ : ٨٠١—٨٣٠) بحثاً لاهوتياً تاريخيًا مسهبًا نظرنا فيه نظراً عليًا في القضيّة الاولى وهي معتقد الكنيسة بوحي هذه الاسفار. وأجّلنا الى فرصة اخرى القضية الثانية التي موضوعها معتقد الآباء القديسين في الاجيال الاولى من الكنيسة ريثما نرى جواب مجلة النعمة. وكأنّا اثباتاً لمقالتنا قلبنا كتب الارثوذكس

اقسهم ومجامعهم وتعاليمهم واستخلصنا منها اهمّ الشهادات المثبتة معتقد الارثوذكسيين في وحي هذه الاسفار ولخّصناها في اربعة براهين وهي كما يلي :

١ً ان الكنيسة المسيحية عموماً والكنيسة الشرقيّة خصوصاً قد اعتبرت دون انقطاع الترجمة السبعينيّة كمجموعة صادقة وكاملة للاسفار الالهيّة . وهذه المجموعة لم تعتبر الاسفار المجادَل فيها ذيلًا للكتاب المقدّس لكنّها ضمّتها مختلطة بعضها مع بعض بلا ميزة ولا اشارة البتّة تنبئ بها أنّ هذه الكتب الهيّةٌ موحى بها من الله للبشر وتلك كتبٌ بشريّة فقط لا حظّ لها من الوحي الالهي . فلو لم تتقبل الكنيسة هذه وتلك كاسفار منزلة على حدّ سواء . لَما حفظت على ممرّ الاجيال هذا الاختلاط في مجموعتها المقدّسة ولكانت افرزت بين الكتب الموحى بها لتكون قاعدة الدين المسيحي وبين الكتب التي لم يوحِ الله بها . والّا عرّضت الكنيسة ابناءها للضلال وحاشاها من ذلك

٢ً ان « مجمع القبّة » الذي يُلحقهُ اليونان بالمجمع المسكوني السادس يحيلنا لمعرفة الجدول الكامل والصادق للاسفار الالهيّة الى الجداول التي نشرها قانون الرسل الخامس والثمانون وقانون مجمع اللاذقيّة وقانون مجمع قرطجنة وان قابلنا بين هذه الاحكام الثلاثة استخلصنا قانوناً او جدولًا يضمّ اسفار الكتاب المقدّس برمّتها وهذا الجدول يحتوي على الاسفار التي انكرها صاحب مقالة النعمة خلافاً لايمان كنيسته وسبقتهُ البروتستانت الى انكارها

٣ً ان الكنيسة الرومانيّة تقبل هذه الاسفار ككتب قانونيّة وقد اعلنت رسمياً معتقدها في المجمع التريدنتيني وانزلت الحرم على من يتجرأ على انكار وحيها فلو كانت الكنيسة اليونانية لم ترضَ بقانونية هذه الاسفار لَما سكتت عن اعتقاد الكنيسة الرومانيّة في امر هامّ كهذا ولَما رضيت بجرم من يخالفهُ ولكانت عابت على الغربيين هذا الضلال المبين وهي التي لم تدع عادة غربية صغيرة او كبيرة الّا وانتقدت عليها امرّ الانتقاد . ولكنّك اذا تصفّحتَ كل ما كتبهُ الشرقيّون في ضلالات الغربيين — وقد عدّوها بالمئات — مع انكارهم لكثيرٍ من احكام المجمع التريدنتيني لا تجد ذكراً « لضلال الكنيسة الرومانيّة » في قانون الاسفار الالهيّة . او ليس انكار كلام الله الموحى بهِ للبشر اهمّ من « قصّ الشعر وحلق اللحى واحناء الركب يوم السبت والجلوس على الكراسي والمقاعد في اوقات الصلاة » وغيرها من الامور التي عاب بها الروم الكنيسة الرومانيّة .

فسكوت الكنيسة الشرقيَّة هي بمثابة اقرار صريح باتفاق المعتقد بين الطرفين في قانونيَّة الاسفار الالهيَّة

٤ ان الكنيسة الارثوذكسيَّة شهدت مرارًا بمعتقدها في قانونيَّة الاسفار التي انكرها البروتستانت وذلك في مجامعها وشهاداتها الرسميَّة وتقارير امانتها كما اثبتنا ذلك بالنصوص الصريحة المتعدّدة المنقولة عن احكام المجتمعات الارثوذكسيَّة سنة ١٦٣٨و١٦٧٠ و ١٦٧١ و ١٦٧٢ و ١٦٧٣ الخ وشهادات الكنائس اليونانيَّة في جزائر الارخبيل وكتب المعلّمين الارثوذكسيَّة المعتبرة وتآليفهم المحتوية لعقائد الكنيسة الارثوذكسيَّة كملاتيوس سيريغوس وبطرس موغيلا والبطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي واسطفان ايافورسكي وقسطنطين اوكونوموس وستوردزا وغيرهم كثيرين ممن اثبتنا شهاداتهم حتى شهادة البطريركيَّة الانطاكيَّة الارثوذكسيَّة التي نشرت بالطبع في بيروت سنة ١٨٧٠ هذه الاسفار ودافعت عن قانونيَّتها حسب تعليم الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة دحضًا لمزاعم البروتستانت

هذه جلُّ براهيننا اثبتنا فيها معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة ودافعنا عمَّن اراد ان يلحق بتعليمها ضلالًا من هذا القبيل ونحن نعتبر ان من تأمَّل فيها بعين تريبة لا يمكنهُ الّا الاقرار بان هذه الكنيسة كانت ولا تزال تؤمن بوحي الاسفار التي انكرها البروتستانت وتجرَّأ على انكارها صاحب المقالة الارثوذكسي في مجلَّة النعمة

على اننا قد تحاشينا في كلامنا كل ما من شأنه ان يثير الخواطر مستندين اقوالنا الى النصوص والكتب الارثوذكسيَّة متتبعين النسق العلمي واصفين الكتبة المخالفين بأدب الكلام وارقهِ . لكنَّ كاتب مجلة النعمة ابى ان يجارينا في المجادلة وينظر معنا نظرًا علميًا عسى تنكشف الرغوة ويحصحص الحقّ لذوي النيَّات السليمة باحتكاك الافكار فيقلّ عدد الامور المختلف عليها بين الشرقيين والغربيِّين. فلم يرضَ الكاتب المذكور الّا نقل البحث من مجلس الدرس الى ميدان التقريع والخشونة خلافًا لما كنا نأملهُ من ذوق كاتب النعمة . واذ لسنا من فرسان هذا الميدان وكانت مقالته الاخيرة لم تأتِ ببرهان جديد ولم تمحُ ولا سطرًا من الثلاثين صفحة التي كتبناها في معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة تركناهُ وشأنه وعُدنا الى بحثنا العلمي في معتقد الكنيسة الجامعة في قانونيَّة الاسفار التي انكرها البروتستانت وموعدنا في عدد قادم ان شاء الله

وكنّا انتهينا من كتابة هذه الاسطر اذ اتتنا مجلّة الكلمة الاميركيّة تدقّ على نغمة شقيقتها وادّعت أنّنا « تحكّكنا » زورًا بكنيسة الروم الارثوذكسيّة . كأنّ كاتب النعمة بتسطيره مقالةً عن الاسفار الثانويّة لم يتحكّك بكنيستنا اوّلًا ولم يزيّف معتقد الكنيسة الرومانيّة بوحي الاسفار الثانويّة فيريد ان نسكت له وقد امرنا بطرس الرسول ان نكون مستعدّين ان نؤدّي الحساب عن ايماننا . امّا تمييز صاحب الكلمة بين الاسفار الموحى بها في الدرجة الاولى والاسفار الموحى بهما في الدرجة الثانية فلا يرضى به عالمٌ اذ ليس للوحي درجات فالوحي امّا ايجابي وامّا سلبي ليس بينهما وسط . فان ثبت فهو كلام الله الذي لا يزول وان زالت السماء والارض

الرصافيّات والريحانيّات

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان صحّ ما قيل انّ الشِعْرَ مِنَ الشعور فذلك لعمري نعم الاشتقاق فان الشاعر المجيد هو الذي لا يندفع الى تقصيد القصائد الّا اذا حداهُ اليهِ عاملٌ يجيك في صدرهِ ويؤثّر في جنانهِ فتنبعث قريحتهُ الساكنة وينطق لسانهُ الجامد بشعرٍ هو صورة محسوساتهِ الباطنة فيتغنّى بهِ . وذلك ما يُفرز الشاعر عن الناظم فانّ الشاعر يُترجم عن شواعرهِ وما الوزن سوى آلة في يدهِ ليبثّ عمّا تضمّنتهُ مشاعرهِ امّا الناظم فيكتفي بالقالب ويهتمّ بالصورة الخارجة وطنطنة الالفاظ وبهرج الكلام . ذاك حيٌّ تنقاد له المعاني فتخرج من فيهِ مكسوّةً بما يليق بها من الالفاظ وهذا ميْت مسجّى بكفنٍ نظيف نُثرت عليهِ الزهور لتستر عن جمودهِ :

اذا نظم اللسانُ بما حواهُ جنانُ المرء فادْعُهُ باسمِ شاعرْ
وان سبق الشعورَ لزومُ وزنٍ فما هو بالحقيقة الّا ناثرْ

ولعلّ هذا الشعور هو الذي امتاز بهِ الشعر الجاهليّ عن سواهُ فانّ الشعراء الاقدمين كانوا اذا تغنّوا بالقريض جعلوا نظمهم ترجمان جنانهم ولسان وجدانهم . فلمّا ظهر الاسلام وضع صرارًا على افواههم حتى ان صاحب كتاب الاغاني وابن قتيبة وغيرهما نقلوا عن قدماء النقّادين قولهم انّ الشعر ذهب رونقهُ مع الجاهليّة ويؤيّد ذلك

ما حُكم بهِ على إمام الشعراء الأوّلين على ما روى قوم من الادباء: انّ امرء القيس اشعر الشعراء بيدهِ لواؤهم وهو قائدهم الى النار (١. وقد اعرب الجهابذة عن اعتبارهم للشعر الجاهليّ بضروبٍ شتى نكتفي بحكمهم عن شعر الاخطل قال ابو عمرو (اغاني ٧: ١٢٧): لو ادرك الاخطل يوماً من الجاهليّة ما فضّلت عليهِ احداً. ومثلهُ قول ابن عبيدة عن ذي الرمّة (اغاني ١٦: ١٠٥): انّ بهِ خُتم الشعر العربي. وذو الرمّة من المخضرمين. والحقّ يقال انّ الشعراء المفلقين بعد الجاهليّة لا يكادون يتجاوزون عدد الاناامل وان امعلت نظر الانتقاد في معظم دواوين الشعراء الذين قاموا بعد الطور الجاهليّ رأيتها غالباً حسنة القشرة عديمة اللباب تكثر فيهـا انواع البديع وضروب الاشكال المزوّقة والتفنّن في التشابيه وحسن اللفظ والتعبير. امّا شعور النفس فتراهُ مفقوداً اللهمّ الّا في بعض القصائد القليلة التي قالها اصحابهـا عن جفن مقروح وقلب مجروح وعواطف حسّاسة وضروريّات ماسّة كبعض المراثي والزهديّات واوصاف الاحوال

ومن آفات الشعر بعد الجاهليّة حصرهُ في بعض ابواب قليلة لا يخرج الشعراء عن دائرتها الضيّقة كالمديح المبتذل والغزل البارد والنسيب التّفِه والرثاء الممل امّا اذا طلبت شيئاً من اوصاف عجائب الكون او الحوادث الاجتماعيّة وامور السياسة او العلوم المستحدثة فلا تجد منها الّا ما لا يفي بمقصودك ولا يجدُ عليك. وقد كنّا نطلب في بعض دواوين القرن الماضي لدى وضعنا لتاريخ آداب القرن التاسع عشر شذراتٍ تلذّ مطالعتها فنثبتها في مقالتنا كامثلة يُسَرُّ بها القرّاء فلا نكاد نجد فيها ضالّتنا

وها قد انتهت والحمد لله هذه الحالة الحرجة منذ اختلطت الناشئة العصريّة بالامم المتمدّنة ودرست آدابهم وشعرهم وادركت ما في دواوينهم من المواضيع الشائقة والمنظومات الرائقة في كل ابواب الكتابة فكأنّهم استيقظوا من منام او افاقوا من غفلة واخذوا يتقصّون في العربيّة مدارجهم ويقتفون آثارهم فجاء الشعر العصريّ على رونق جديد مرتدياً بثوب قشيب يتدفّق رقّةً ويستفيض حسناً فترى المسلمين والنصارى يتبارون في هذا الميدان ويأتي كل شاعر بما لم يدرْ على الحسبان

وممّا ظهر موخّراً من المصنّفات في عالم الآداب كتابان الواحد نظم والآخر نثر

---

١) اطلب الاغاني (٧: ١٢٠) والمزهر (٢: ٢٣٩) والعمدة لابن رشيق (ص ٦٣)

ذلك شعر بحت وهذا يتقلّد الطرائق الشعريّة وكلاهما موسوم باسم كاتبهِ : الرصافيّات وهي القصائد التي جادت بها قريحة احد افاضل بغداد المسلمين معروف افندي الرصافي. والريحانيات لامين افندي الريحاني اللبناني المارونيّ فاحببنا ان نصفهما للقرّاء فنقدر كلًّا منهما قدره

١ الرصافيّات

هي مجموع زهاء مئة قصيدة في ٢٣٠ صفحة نظمها الرصافي شاعر بغداد فاجاد بها واصاب المرمى ولمَّا مرَّ في بيروت قاصدًا الاستانة لينشئ فيها جريدة « العرب » اقنعهُ رصفاؤهُ بان ينشر ديوانهُ فلا تتضعضع منظوماتهُ بالتفرُّق والشتات فرضي بذلك وتعهّد جناب محيي الدين افندي الخيّاط بان يتولّى الطبع في غيبة الشاعر بل علّق على قصائدهِ تيسيرًا لادراك معانيها شروحًا لم يسمح له مرضٌ عرض له بان يتمّ منهُ سوى ثلثيهِ

وقد قلّب جناب متولّي الطبع قصائد الرصافي فحصرها في اربعة انواع فجعل في الباب الاوّل الشعر الواصف للكون إجمالًا فدعا منظوماتهِ الكونيّات . وضمّن الباب الثاني القصائد المنوطة باحوال الهيئة الاجتماعية فسمّاها الاجتماعيّات . وعنون الباب الثالث بالتاريخيّات لتضمينهِ فيهِ القصائد التاريخيّة . وختم الديوان بالوصفيّات وهو الباب الرابع وآخر الابواب . وقد شعر جناب القائم بهذا الترتيب انّ فعلهُ لا يتجاوز التغليب والترجيح اذ يمكن نظم بعض هذه القصائد في ابواب شتّى

ومهما كان من امر تنظيم المنظومات فانّنا نقول بالاجمال انّ هذا الديوان من ابدع ما أتت بهِ اقلام المحدثين لا ينقصهُ الّا شيء قليل ليُجعل كدستور الشعر العصريّ في ايدي احداث المدارس يشحذون بهِ قرائحهم ويقتبسون من أنوارهِ ليحرزوا أسرار الكتابة . وممّا نشتاءهُ لكمالهِ ان يُضبط بالشكل الكامل وان تُنزع عنهُ بعض الاوصاف المشتبَة التي وان لم تبلغ المجون وخرق الآداب فمن شأنها ان تثير في مخيّلة الصغار اهواء القلب الباطل كوصف الراقصات (ص ١٦٥ وص ٢٠٩) والقبلة في الغلائل (ص ٢١١) وما رأى الشاعر في بك اوغلي (ص ١٧٤) والمرسح (ص ٢١٧) يُضاف اليها ابيات قليلة تحصر الفضل في حدود ضيقة كقولهِ في مسامحة الصديق (ص ٢١٢) :

وسامحْ صديقًا قد اساءَ بخطئهِ ثلاثًا عسى من ذلك الفعل ينقضُ
وبعد ثلاثٍ دَعْهُ غيرَ مُسامحٍ فَرَتْفَضُ الذي دامت اساءتهُ فَرْضُ

فاين ذلك من قول السيّد المسيح لبطرس (متّى ١٨ : ٢٢) انهُ يجب اذا اخطأ اليك اخوك ان تغفر لهُ ليس سبع مرّات فقط بل سبعين مرّة سبع مرّات

فهذه وامثالها لو نُزّه عنها الديوان لاوصينا بهِ كل ارباب المدارس واثنينا بهِ الثناء التامّ دون استثناء ولا شذوذ

وقد قدّمنا الملحوظات على ثنائنا لئلّا تبقى عثرةٌ في طريقنا فنقول انّ الرصافيّ في ديوانهِ قد حقّق تعريف الشاعر بكلّ معناهُ فانك لا تكاد تقرأ بيتًا من ابياتهِ الّا وتتأكّد ان قائلهُ يترجم عمّا طُبع عليهِ ذهنهُ واختمر في لبّهِ فينطق لسانه بما كاد يمور بهِ جنانه وايمُ الحقّ انهُ صدق حيث قال عن نفسهِ (ص ١١٢):

الشعر مفتقرٌ مني لمبتكرٍ ولستُ للشعر في حالٍ بمفتقرِ
دعوتُ غرَّ القوافي وهي شاردةٌ فأقبلت وهي تمشي مشيَ معتذرِ
وسلّمتني عن طوعٍ مقادتها فرحتُ فيهنّ اجري جريَ مقتدرِ
إذا أقمتُ اقامت وهي من خدمي واينما سرتُ سارت تقتفي اثري
طابقتُ لفظيَ في المعنى فطابقهُ خلوًا من الحشو مسلوءًا من العِبَرِ
واجودُ الشعر ما يكسوهُ قائلهُ بوشيِ ذا العصر لا الخالين من العصرِ . . .

فهذا الوصف للشعر ينطبق كلّ الانطباق على ما يطلبهُ اهل زماننا من الشعراء المحدثين . وقد بيّن الرصافي على صورة مبتكرة كيف تخيّل لهُ الشعر العصري وذلك في قصيدتهِ التي صدّر بها ديوانه وعنوانها « العالَمُ شعرٌ » . وقد اعرب فيها عن دقّة نظر في الشعر الصحيح وشروطه وفنونهِ التي عليها مدارهُ وهذا اوّلها :

قرأتُ وما غيرُ الطبيعة من سِفْرٍ صحائفَ تحوي كل فنٍّ من الشعرِ
أرى غُرَرَ الاشعار تبدو نضيدةً على صفحاتِ الكون سطرًا على سطرِ
وما حادثاتُ الدهرِ الّا قصائدٌ يقوهُ بها للسامعين فمُ الدهرِ
وما المرء الّا بيتُ شعرٍ عروضهُ مصائبُ لكن ضربُهُ حفرةُ القبرِ
تُنظّمنا الايّامُ شعرًا وانّما تردُّ المنايا ما نظمنَ الى النثرِ

ثم تنقّل بين السماء والارض والبحار فوصف كثيرًا من مناظر الطبيعة واحوال البشر وبيّن ما فيها من المحاسن الشعريّة . ودونك واحدًا من هذه الاوصاف :

ويومٍ بهِ استيقظتُ من هجعة الكرى وقد قدَّ درعَ الليل صمصامةُ الفجرِ
فأطربني والديكُ منشجٍ صياحهُ ترنّمُ عصفورٍ يزقزق في الوكرِ
وممّا ازدهى نفسي وزاد ارتياحها هبوبُ نسيمٍ مُنعشٍ طيّبِ النشرِ

فقُمْتُ وقامَ الناسُ كلٌّ لشأنهِ كأنَّ جميعَ البَثِّ في ساعةِ النَّفْرِ
وقد طلعت شمس النهار كأنها مليكٌ من الأضواء في عسكرٍ مجرِ
بدت من وراء الأفق ترفُلُ للعُلى رويدًا رويدًا في غلائلها الحُمرِ
غدت تُرسِلُ الانوار حتى كأنها تُسيلُ على وجه الثرى ذائبَ التبرِ
الى ان جلَت في نورها رونقَ الضُّحى صقيلًا وفي بحر الفضاء غدت تجري
وأهدت حياةً في الشعاع جديدةً الى حيوانِ الارضِ والنَّبتِ والزهرِ
فقلتُ مشيرًا نحوها بعبارةٍ ألا انَّ هذا الشعرَ من ابدعِ الشِعرِ

على انَّ جناب الرصافيّ لم يكتفِ بأن يُوضح في شعرهِ أنه عالمٌ بفنون القريض واقفٌ على شروطهِ مُدركٌ لخواصّهِ بل هو يُعرِب في كل مقاطيعهِ عن نفسٍ رقيقة كطَلْيَدة ادوات الفوتغراف التي لا ينفذ اليها شعاعٌ من النور الّا تأثَّرت من روي المحسوسات فرسمت صورتها بكل تدقيق وضبط. وها نحن نثبت من شعرهِ فقرات تشهد على قولنا. فمن ذلك روايته لقصّة مطلَّقةٍ قُضي على زوجها بمفارقتها لحلفهِ بالطلاق على غرَّةٍ دون تروٍّ فافتتح القصيدة بوصف تلك المظلومة قائلًا (ص ٥٢–٥٦):

بدت كالشمس يحضنها الغروبُ فتاةٌ راع نَضرتَها الشحوبُ
منزّهة عن الفحشاء خَوْدٌ من الخَفِرات آنسةٌ عَروبُ

ثم انتقل الى تعريف سبب الطلاق وظروفهِ وما لحِقَ بالزوجين لسببهِ من الكآبة:

حليلةُ طيِّب الاعراقِ زاكٍ يحِبُّ عنها وعنهُ بها الكروبُ
رعى ورعت فلم تَرَ قطُّ منهُ ولم يرَ قطُّ منها ما يريبُ
توثّقَ حبلُ ودّهما حضورًا ولم ينكثْ توثّقَهُ المغيبُ
فناضب زوجَها الخُلَطاءُ يومًا بأمر للخلاف به نشوبُ
فأقسم بالطلاق لهم يمينًا وتلك أليّةٌ خطأٌ وحُوبُ
وطلّقها على جهل ثلاثًا كذلك يجهل الرجل الغضوبُ
وأتى بالطلاقِ طلاقِ بتٍّ ذوو فُتيا تعصّبهم عَصيبُ
فبانت عنه لم تأتِ الدنايا ولم يعلق بها الذمُّ المعيبُ

فظلّت وهي باكية تنادي بصوتٍ منهُ ترتجف القلوبُ
لماذا يا نجيب صرمتَ حبلي وهل اذنبتُ عندك يا نجيبُ
وما لك قد جفوت جفاء قالٍ وصرتُ اذا دعوتُكَ لا تجيبُ
أبِنْ ذنبي اليَّ فدتك نفسي فاني عنه بعدئذٍ أتوبُ
اما عاهدتني بالله ان لا يفرّق بيننا الّا شَعوبُ
لئن فارقتني وصددت عني فقلبي لا يفارقهُ الوجيبُ...

فأطرق رأسهُ خجلًا واغضى وقال ودمع عينيهِ سكوبُ
غيبةُ أقصري عنّي فاني كفاني من لظى النَدَم اللهيبُ
وما واللهِ هجرُك باختياري ولكن هكذا جرت الخطوبُ

وكأنَّ الشاعر احسَّ بما كان في تلك الفترى من الظلم فقال:

ألا قل في الطلاقِ لِموقعيهِ بما في الشرعِ ليس لهُ وجوبُ
غلوتم في ديانتكم غلوًّا يضيق ببعضه الشرعِ الرحيبُ
اراد الله تيسيرًا وانتم من التعسير عندكمُ ضروبُ
وقد حلّت بأمّتكم كروبٌ لكم فيهنّ لا لهم الذنوبُ
وهى حبلُ الزواجِ ورقّ حتى يكادَ اذا نفختَ لهُ يذوبُ

واحسن ختامها بقولهِ:

لعلَّ الله يحدث بعدُ امرًا لنا فيجيبَ منهم من يجيبُ

وارقّ من هذه الابيات وصف الشاعر لأمّ اليتيم وهي رواية ينشقّ لها الجلمود الاصمّ. فقال بعد مقدّمة جميلة (ص ١٠٧–١١١) :

وبيتٍ بكتْ فيهِ الحياةُ تعاسةً ولاحت بوجهِ البائس المتجهّمِ
بهِ ألقت الايامُ اثقالَ بؤسِها فهاجت بهِ الاحزانُ فاغرةَ الفمِ
كأنّي أرى البُنيانَ فيهِ مهدّمًا وما هو بالمتداوي ولا المتهدّمِ
ولكنَّ زلزالَ الخطوبِ هوى بهِ الى قعر مهواةِ الشقاء المجسّمِ
دخلتُ بهِ عند الصباحِ على التي سقاني بكاها في الدجى كأس علقمِ
فالفيتُ وجهًا خدّدَ الدمعُ خدَّهُ ومحمرّ جفنٍ بالبكا متورّمِ
وجسمًا نحيفًا انهكتهُ همومهُ فكادت تراهُ العينُ بعضَ توهّمِ
لقد جثمت فوق التراب وحولها صغيرٌ لها يرنو بعيني ميتّمِ
تراهُ وما ان جاوز الخمس عمرهُ يُدير لحاظَ اليائسِ المتفهّمِ
بكى حولها جوعًا فغذّتهُ بالبكا وليس البكا الّا تعلّةَ معدمِ
وأكبر ما يدمو القلوبَ الى الأسى بكاءُ يتيمٍ جائعٍ حول أيّمِ
وقفت وقد شاهدتُ ذلك منهما لمريمَ ابكي رحمةً وابن مريمِ
وقفت لديها والاسى في عيونها يكلّمني عنها ولم تتكلّمِ
وساءلتها عنها وعنهُ فاجهشت بكاءً وقالت انما الدمع ترجمي
ولمّا تنادت في البكاء تضاحكت من اليأس ضحكَ الهازئِ المتهكّمِ

ثم وصف الشاعر ما دار بينهُ وبين امّ اليتيم من الحديث:

فقلتُ وفي قلبي من الوجدِ رعشةٌ أمجنونةٌ يا ربِّ فارحم وسلّمِ

ومذ مَرِضتْ للاين منها الثفانةُ ... اشارت اليهِ بالمقامِ أنْ قُم
فقام اليها خائر الجسمِ فانثنت ... عليهِ فضمَّته بكفٍّ ومِعصَمِ
وظلّت لهُ ترنو بعين تجودهُ ... بفذّ من الدمع الغزير وتوأمِ
فقال لها لمّا رآني واقفًا ... أردّدُ فيهِ نظرة المتوسِّمِ
سَلي ذا الفتى يا أمِّ أين مضى ابي ... وهل هو يأتينا مساءً بمطعمِ
فقالت لهُ والدمع تجري غروبُها ... واغناسُها يقذفنَ شعلةَ مُضرَمِ
ابوكَ تراءت فيهِ سفرةُ راحلٍ ... الى الموتِ لا يُرجى لهُ يوم مَقدَمِ
مشى ارمنيًّا في المساعد فارتمت ... بهِ في مهاوي الموتِ ضربةُ مُسلِمِ
على حينِ ثارت للنوائب ثورةٌ ... أتت من حزازاتٍ الى الدين تنتمي
فقامت بها بين الديار مذابحٌ ... تخوّض منها الارمنيّون بالدمِ
ولولاكَ لاخترتُ الحِمام تخلصًا ... بنفسيَ من اتعاب عيشٍ مذمَّمِ
فانت الذي اخّرتَ أمَّك ريثما ... من الموت ان يودي بأمّك مريمِ

أمريمُ مهلًا بعض ما تذكرينهُ ... فانّكِ ترمين الفؤادَ بأسهمِ
أمريمُ ان الله لا شكَّ ناقمٌ ... من القوم في قتل النفوس المحرَّمِ
أمريمُ فيما تحكمين تبصّري ... فان انتِ ادركتِ الحقيقة فاحكمي
فليس بدينٍ كلُّ ما يفعلونهُ ... ولكنه جهلٌ وسوءُ تفهّمِ...

الى ان قال في الختام:

وظلّتُ لها ابكي بعينٍ قريحةٍ ... جرتْ من اماقيها مُصارةُ عندمِ
بكيت وما ادري أأبكي تضجرًا ... من القوم ام ابكي لشقوة مريمِ

وليست رواية « اليتيم في العيد » (ص ٨٦–٩٣) ومأساة « الفقر والسّقام » (١١–٧١) باضعف دليلًا على رقّة عواطف الشاعر لا يتصفّحهما القارئ الّا تسيل من مآقيه العبرات فيرثي لأحوال اولئك البؤسين ويثني على الشاعر الذي بكى فأبكى ولبس شواعر الحنان والرحمة على المنكوبين فحثّ عليهم القلوب واورثها الشفقة على مصايبهم

ومثلها دليلٌ على كرم اخلاق الشاعر ولطف طباعهِ قصيدتاهُ في « الصديق المضاع » (١١٨–١٢١) و« اليتيم المخدوع » (٧٥–٧٦) وسمَ فيهما بسمة العار الاصدقاء المماذقين المتملّقين الناكثين للعهود ثم النصّابين الذين لا يرثون لضعف الاحداث فيعرّضونهم للتهلكة رجاء الربح الخسيس فكأنَّ شعر الرصافي صدى لقوله تعالى (لوقا ١٧: ١–٢) : « الويل لمن تقع عن يدو الشكوك فانهُ خيرٌ له لو عُلّق في عنقهِ حجرُ الرحى وطُرح في البحر من ان يشكّك احد هؤلاء الصغار »

على انَّ نفس الرصافي ليست رقيقةً فقط لكنَّها ايضاً ابيَّة حيَّة لا يسومُها ظالمٌ خُطَّة خَسْفٍ فجمعت هكذا بين الشهامة واللين وبين الأَنفة والتعطُّف . ولو شئنا ان نثبت قولنا في عزَّة نفس شاعرنا لاتَّسع بنا المجال . وقد ضربنا عدَّة شواهد على قولنا في ما نقلناهُ من شعر الرصافي في مقالتينا السابقتين الحماسة الدستوريَّة (في المشرق ١٢ : ٨١—٩٦) ومنظومات الوقائع الدستوريَّة (في المشرق ١٢ : ٨١—٩٦ و ٦٤١—٦٦٤)

ومن هذا القبيل قصائد غرَّاء تستفزُّ محاسنُها نفوس سامعيها فتتَّقد مع نفس قائلها غيرةً وحميَّة فلا تعود ترضى بالذلّ والصغار . فاسمع رعاك الله ما ترنَّمت بهِ اوتار قريحة الشاعر في وقت الاستبداد فقال في « تنبيه النيام » (ص ٧٧—٧٩) :

عجبتُ لقومٍ يخضعون لدولةٍ يسومهمُ بالموبقات عميدُها
وأعجبُ من ذا أنَّهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودُها
اذا وُلِّيت أمرَ البلادِ طُغاتُها وساد على القوم السُّراةِ مَسودُها
وأصبحَ حرُّ النفس تعلو كرامُها يُرَدُّ مهانًا عن سبيلٍ يريدها
وصارت لئامُ الناس تعلو كرامَها وعاب لبيدًا في القصيدِ بليدُها
فيا أيتُها الَّا أيُّها الموتُ نعمةٌ يعزُّ على اهل الحفاظِ جحودها

ومثلها قولهُ يخاطب وطنهُ بغداد في « ايقاظ الرقود » من مخمَّس طويل كلُّهُ ناطقٌ عن نخوة عربيَّة صادقة (ص ٨٠—٨٦) :

اليكِ اليكِ يا بغدادُ عنّي فانّي لستُ منكِ ولستِ منّي
ولكنّي وان كبر التجنّي يعزّ عليَّ يا بغدادُ انّي
اراكِ على شفا هولٍ شديدِ . . .
ترقّى العالمون وقد هبطْنا وفي دركِ الهوان قد انحطَطْنا
ومن سنن الحضارة قد شحطْنا فقطْنا يا بني بغداد قُطنا
الى كم نحن في عيش القرودِ . .
حكومة شعبنا جارت وسارت علينا تستبدُّ بما اشارتْ
فلا احدًا دعتْهُ ولا استشارت وكلُّ حكومةٍ ظلمت وجارتْ
فبشِّرْها بتمزيقِ الحدودِ . . .

ومثلها ايضًا قصيدتهُ المعنونة « رقية الصريع » (٩٦—٩٨) اولها :

يا عدلُ طال الانتظارُ فعجّلِ يا عدلُ ضاقَ الصبرُ منكَ فأقبلِ
كيفَ القرارُ على امور حكومةٍ حادت بنا عن الطريقِ الأمثلِ
في الملك تفعل من فظائع جورها ما لم تقُل وتقولُ ما لم تفعلِ
أضحتْ مناصبُها تُباعُ وتُشترى فغدت تُفوَّضُ للغنيّ الاجهلِ

تُعلى مُؤجَّلةً لمن يبتاعها   وبتى انقضى الأجلُ المسمّى يُنزَلِ
سوقٌ تُباع بها المراتبُ سُمّيت   دارَ الخلافة عند من لم يعقلِ

وليست دونها اباء وترفعاً قصيدة «سُوء المنقلب» (٩٩–١٠٤) مطلعها:

بغدادُ حسبُكِ رقدةٌ وسُباتُ   أوَ ما تمضّكِ هذه النكباتُ
وَلَمّتْ بكِ الأحداثُ حتى اصبحت   ادواءُ خطبكِ ما لهنّ أُساةُ

وهذه القصائد كان الشاعر انشدها قبل الحكم الدستوري وابقاها في مدافن النسيان لئلّا يعود إشهارها عليه وبالًا . فلمّا أُعلن بالدستور اورى زناد قريحته فقال تلك الحماسيّات التي نقلنا عنها قطعاً صالحة . لكنّ الرصافي أحكمُ من ان ينخدع بالبهرجة ولم يلبث ان يرى نقائص كثيرة في الدستور واصحابه فلم يسكت عنها ورشقها بأسهم شعره . المطبوع منها قصيدتهُ الحديثة التي لم تَرِدْ في ديوانه فوصف هذه الاحوال السيئة فقال :

شكايةُ قلبٍ بالأسى نابضِ العرقِ   الى قائم الدستور والعدل والحقِّ
ملوكٌ علَى كل الملوك ثلاثةٌ   لها الحكم دون الناس في الفتق والرتقِ
وأُقسم اني لا اكون لغيرها   مطيعاً ولو من اجلها ضُربت عنقي
فهل ايها الدستورُ تسمع شاكياً   بك اليوم يرجو ان يرى غفلة الشرقِ
لقد جئتَ من أفقِ الصوارم طالعاً   علينا طلوع الشمس من مشرق الافقِ
فصادفتَ منّا أُمّةً قد تشوّقت   لقاءكَ حتى جاوزت مبلغ الشوقِ
ولم نبدِ عنفاً حين جئت وانما   هتفنا جميعاً بالوفاقِ وبالرفقِ
وظلّلنا نرجّي منك للخرقِ راقعاً   ولكن تراخى الامرِ متّسع الخرقِ
بك اليوم اشقانا الأولى انت مُسعِد   لديهم فيا فقد للسعد المُشقي
نراك بايديهم علَى الخلق حجّةً   وانت عليهم حجةٌ لا على الخلقِ
قد استأثروا بالملك وارتزقوا به   وسدّوا على من حولهم سُبُل الرزقِ
كأنّا لهم شاةٌ فهم يحلبونها   وكم مخضوا أوطاننا مخضة الزقِّ
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها   ولم يتركوا الساكتيها سوى المذقِ ...
فما نحن الّا كالظماء وانهم   كساقٍ يرينا الماء عذباً ولا يسقي ...
أَلم يبصروا العدل غير طريقهم   فان طريق العدل من اوضح الطرقِ
وماذا عسى يجدي سقوط وزارة   اذا لم تقم أُخرى على العدل والصدقِ
مضى كاملٌ من قبل حلمي وان جرى   كما جريا حُمْقي فثلهما حُمْقي ...
فيا ايها الدستور فانظر بما ترى   وأَبرِقْ ولكن لا تكن خُلَّب البرقِ
ولسنا نريد اليوم حكماً عليهم   ولكن نناديهم وندعو الى الحقِّ
تعالوا الى امرٍ نساويهِ بيننا   وبينكم في الجلِّ منهُ وفي الدقِّ
فان يفعلوا هذا فيا مرحباً بهم   والّا فيا سحق المعاند من سحقِ

وما يعجبنا خصوصاً في شعر الرصافي تفنّنهُ العجيب في الاوصاف فانك تراهُ على شبه الطائر الرشيق يتنقّل بكل خفّة في ارجاء السماء وفي اطراف المعمور ويتنقّل بين الرياض والقفار وبين الجبال والوهاد يدقّق النظر في كل مشاهد الطبيعة فيستمد منها محاسنها ويدمجها في شعرهِ دون تكلّف. والامثلة على ذلك عديدة كقصيدتهِ «بني الارض» (ص ٢٤) و«من اين الى اين» (ص ٢٧) وفيها يخاطب كل اسرار الكون:

يا قوّة الجذب أطلقيني من ثقلةٍ اوجبت هواني
لولاكِ لولاكِ يا شِكالي لَطِرتُ كالنور في الفضاء...
وانتِ يا كهرباء سرٌّ بدا وما زال في غشاء
مجائبُ الكون وهي شتّى فيك انطوت أيّما انطواء...

ومثلها في قصيدتهِ «أَلِكْني يا ضياء» (ص ٤١):

أجدّكِ يا كواكبُ لا تُرينا بياناً منكِ يخبرنا اليقينا
كأنَّ العالمَ العلويَّ سِفرٌ نطالعهُ ولسنا مُفصحينا
نحاول منهُ اعرابَ المعاني بتأويلٍ فترجع مُعجبينا
كواكبُ في المجرّةِ عائماتٌ حكت في بحرِ فسحتها السفينا...
تودُّ الغانياتُ اذا رأتها لو انتظمت لها عقدًا ثمينا...

ومثلها المعارف الحديثة والعلوم العصريّة فانّ شاعرنا البغداديّ عرف من اين تُؤكل كتفها فاستمدَّ منها كثيراً من اوصافهِ كقولهِ في وصف القطار (ص ١٦٨):

وقاطرةٍ ترمي الفضا بدُخانها وتملأُ صدرَ الارض في سيرها رُعبا
لها منخرٌ يُبدي الشُواظَ تنفّساً وجوفٌ بهِ صار البخار لها قلبا
تمشّت بنا ليلًا تجرُّ وراءها قطاراً كصفّ الدوحِ تسحبهُ سحبا
فطوراً كمصفِ الريحِ تجري شديدةً وطوراً رخاءً كالنسيمِ اذا هبّا
تساوى لديها السهلُ والصعبُ في السُرى فما استوعرت سهلاً ولا استصعبت صعبا
تدكُّ متون الحَزْنِ دكّاً وانها لَتنهبُ سهلَ الارض في سيرها نهبا
يمرُّ بها العالي فتنار تسلّقاً ويعترض الوادي فتجتازهُ وثبا
وتخترق الطودَ الأشمَّ اذا انبرى وقد وجدت من تحت قنّتهِ نقبا
يرنّ بجوف الطود صوت دويّها اذا ولجت في جوفهِ النَّفقَ الرَّحبا
لها ضجّةٌ عند الولوجِ كأنها تقول بها يا طود خلِّ ليَ الدربا...

وفي شعر الرصافي غير ذلك من المحاسن يقضي علينا حرَجُ المكان بالسكوت عنها وفي ما سبق ما يشهد على صدق مديحنا فعسى كلامنا يبعث في قلوب قرّائنا الرغبة في مطالعة هذا الديوان الفريد وفي شعرائنا اقتصاص آثارهِ الطيّبة

٢ الريحانيّات

أسكرتنا الرصافيّات فكادت تُنسينا الريحانيّات. وانّا لعمر الحق كنّا نودّ ان نطرئ نثر اللبناني كاطرائنا شعر البغدادي وقد قدّمنا انّ الشعر بالمعاني اكثر منهُ بالوزن. وزادنا في مطالعتها شوقاً انّ بعض الكتبة مدحوا « سموّ خيالها الشعري ودقّة مسلكها النظري » وادّعى صاحبها انها « شعر منثور » فطلبنا فيها صورتها الشعريّة « المنسوجة (كما قالوا) من خيوط الشمس والملوّنة بألوان الحقول » او معانيها الفلسفيّة والاجتماعيّة بيد انّا عُدنا من الوجهين بخفّي حنين

امّا الصورة الشعريّة فاني لستُ انكر انّ في انشاء الريحاني بعض الشبه بمقالات المصريين من الكتبة بين الفرنسويين والانكليز والايطاليين فجرى في العربيّة مجرى اولئك الكتبة في لغاتهم وكثيرون من أدبائنا المحدثين اخذوا منذ سنين ينهجون هذا المسلك وليس هو بالوعر ولعلّ بعضهم يلتجئون الى زخرف الانشاء وترويق الكلام ليستروا فقر معانيهم وعقم افكارهم وعلى كل حال لو قابلنا بين انشائهم وانشاء الريحاني لما رأينا فرقاً بينهُ وبينهم بل منهم من يفوق عليهِ في معرفة اللغة وفضلهُ في ابتداع التشابيه وابتكار التعابير اللطيفة

ثم انّ للشعر مزيّة أخرى لا مُندحة عنها لناظمه تزيد سداد الكاتب والصواب في كلامهِ قال الشاعر:

فان لم تجد قولاً سديداً تقولهُ   فصمتُك عن غير السَّداد سدادُ

فان كان السداد فرضاً واجباً على الشاعر فما قولك بهِ على الناثر. وهيهات ان يحلّي الريحاني كتاباتهِ بهذه الصفة كما سترى

فهلمَّ الآن الى الوجه الثاني من المزايا المنسوبة الى الريحانيّات اعني المعاني البليغة والحكم الاجتماعيّة والنظر الفلسفيّ حتى انّ البعض سمّوا كاتبها « بالفيلسوف الصغير » اي والحق انّهُ لصغيرٍ وأصغر الصغار لأنّ الفلسفة كما أجمع على تحديدها ارسطو وكبار الحكماء من بعدهِ هي معرفة الاشياء بعللها القاصية والله سبحانهُ وتعالى علّة العِلَل وسبب كل المسبّبات يؤدي بنا الى معرفته نور العقل فضلاً عن الايمان. وترى الريحاني في كثير من كتاباتهِ يجهل تلك العلّة القصوى ويلقي في العقول زؤان الشكوك في وجودهِ تعالى وفي اصل الكائنات وغايتها. فاسمع أيها القارئ وردّد كلمة السيّد المسيح

على صليبه : « اغفر له يا ربّ فانّه لا يدري ما يفعل » ولا ما يقول . وتحقّق ما في كلامه من النَّفَس الشعري زه ! زه ! قال (ص ٢١٧) ساعهُ الله :

« الجرذان في قبوكَ لا يعرفون ما اذا كان القبو ثابتاً الى الابد او الى حين ولا يعرفون مَن شيّده ولماذا . انّما هم يعيشون في زاوية منه او بالحري في ظلماته فيجدّون في طلب رزقهم ويدافعون عن انفسهم ويهربون من وجه الحيوانات المتسلّطة عليهم فيضاعفون نسلهم ويضاعفون في ذلك عذابك هذه زبدة حياتهم ومصلها في القبو الذي بَنيتَهُ لنفسك لا لهم . والبشر في هذه السيّارة الصغيرة التي تُدعى الارض انما هم – سل شأنك – كالجرذان فانّنا نسل كأحقر المخلوقات في الظلمات ولا نعرف ما اذا كان العالم ثابت (كذا) الى الابد او الى حين ولا نعرف الغاية التي من اجلها شُيد هذا القبو الذي يُدعى الارض ولا الغاية من وجودنا فيه ناهيك عن قصد البنّاء العظيم الذي . . . هس ! انما نحن كالجرذان » (كذا بحرفه)

فما ابدع هذا الكلام الشعري في فم « الفيلسوف الصغير » بل « الجرذون الكبير » وهو الاسم الذي اختارهُ لنفسه فليتمتّع به . ومثل هذا قولهُ في محلّ آخر (ص ٢١٤) انّ الفلاسفة كأنهم حتى اليوم « لم يورثوا العالم سوى الاوهام والشكوك » وان « الكون كيفما نظر اليه العالم يظلّ فوق علمه » فما احرى بالانسان ان يعود الى الهمجيّة ويعيش كالعجماء اذ لم يستطع على قول « الجرذون » ان يقف على بعض حقائق الكون والحياة !

وقس على هذا اقوالاً كثيرة بل مقالات واسعة يُستشفّ منها روح الكفر بل يجاهر به علناً دون حياء ولا خجل كمقالته عن ڤلتير (ص ١٦٠) حيث يحضّ كل اديب سوري (كذا) ان « يخرج من عالم الخرافة المظلم الى بلاد الحريّة العامرة فيذهب توّاً الى ڤلتير ليقدّم له الجزية » وما ادراك مَن ڤلتير ! أوخم الكتبة وارذلهم الذي خان وطنهُ وباع دينهُ وقوّض اركان كل تمدّن وهيئة اجتماعية . ومثلهُ جان جاك روسو الذي شرّفهُ الريحاني بمقالة كڤلتير . فاسمع وصف السيّد جمال الدين الافغاني لهذين الرجلين الاثيمين واقض القضاء الواجب في الريحانيّات وصاحبها . قال وللهِ درّهُ من قائل :

« الشعب الفرنساوي شعبٌ كان قد تفرّد بين الشعوب الاوربيّة . . فرفع منار العلم . . وصار مشرقاً للتمدّن في سائر الممالك الغربية . . . . حتى ظهر فيهم « ولتير » و « روسو » يزعمان حماية العدل ومنابذة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبي وأحييا ما بَلي من عظام الدهريّين ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما انّ الآداب الالهيّة جعليّاتٌ خرافيّة كما زعما انّ الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانساني وجهر كلاهما بانكار الالوهيّة . . . فاخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنساويين وتالت من عقولهم فنبذوا الديانة اليسوعيّة . . . والاضاليل التي بثّها هذان الدهريّان « ولتير وروسو »

هي التي اضرمت نار الثورة الفرنسويّة ثم فرّقت بعد ذلك اهواء الامّة وافسدت اخلاق الكثير من ابنائها . . . واوغلوا في سبل الخلاف . . . حتى تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية . . . »

فهؤلاء وامثالهم من الأنذال هم الذين مدحهم الريحاني وطلب من كل سوري اديب ان يقدّم لهم الجزية بخٍ ! بخٍ ! فنِعْمَ المادح ونعم الممدوحون !

فليس عجب بعد هذا ان كان الريحاني يصوّب سهام كفرهِ الى الدين النصراني خصوصاً بعد نبذهِ كل دين . ولا يظنَّنّ ادباء المسلمين انَّ الريحاني يعتبر ديانتهم لقولهِ (في الصفحة ٢٢٠) :

« من اجلّ ما قرأته في الكتب المقدّسة ... فاتحة القرآن فهي صلاة جديرة بان يردّدها بقلب حيّ كل انسان كل يوم من السنة : اياك ربّ ... نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم »

فانّ كاتب هذه الاسطر يسخر من دينهم كما يسخر من دين نفسهِ لانَّ على زعمهِ (ص ٢١٤) اي دين كان يمكنهُ ان ينير القلب من الانسان « ولا فرق ان يذكر المرء مع الدراويش او يسجد مع اليسوعيين او يغتسل في نهر الغنج مع البوذيين » (كذا) وقد حكم في محلّ آخر (ص ١١٢) بما يهتك ستر غباوته حيث قال ان « المسيحيّة في حالتها الحاضرة لمدوّة المسيح وان يسوع وكنيسته على طرفَي نقيض »

هذه بعض اقوال رجل مارونيّ يبصق في وجه ديانتهِ علانيةً وما تعزّز بعضُ كتبة الجرائد من الثناء على كتابهِ !!

وان كانت هذه معتقداتهُ في الدين فانّ مبادئه الادبيّة على مثال دينهِ فانَّ الريحانيّات في كل صفحة من صفحاتها تتضمّن مبادئ مائبة سيّئة واصولاً فاسدة ثوريّة فتارةً يشنع على اصحاب السلطة الدينيّة وتارةً يزري بكل سلطة مدنيّة حيناً (ص ١٦٤) ينسب الى الحبر الاعظم ما هو براء منهُ اغراء بهِ وحيناً يحرّش الفقراء على الاغنياء . وطوراً يسمع التسميات الباطلة فلا يرى في كل ما هو شريف جليل سوى دغل وخداع ومكر . واذا رفع عملاً صالحاً لا ينوي الّا تنكيس صالح آخر كانَّ الخير عدوٌّ للخير . اسمع بعض « بذورهِ للزارعين » (ص ٢٠٨) :

انَّ حسنة واحدة تأتيها خير من بالٍ بالصلاة تحييها (كانَّ الصلاة ليست من الحسنات !)

انَّ التعبُّد في الصالحات لا في تمتمة الصلوات (كانَّ المصلّين ببغاوات يتمتمون ولا يدرون ما يقولون !)

ربَّ صنار بلبيون اصدق من شيوخ يتورَّعون (كأن الشيوخ المتورّعين مراؤون منافقون مثلهُ !)

ربَّ محسنة في مومسات الوجود اصحّ ديناً من راهبات السجود (انظر رعاك الله كيف يحكم هذا الكاتب بأولئك الملائكة اللواتي يصرفن حياتهنّ باخماد غضب الله بصلواتهنّ . وكأنهُ ليس بقربهنّ مئات من راهبات المحبّة اللواتي يخدمن كل المرضى البائسين بمحبة سماويّة !)

رُبَّ كافر همّال للخير احبُّ الى الله من راهب في الدير (كالريحاني مثلًا الذي يفني حياتهُ في البرّ والصلاح وكل يعرف مبرَّاته العديدة !!)

فيرى القرَّاء انَّ هذا الكتاب اقبح مـا طُبع الى اليوم في الشرق من التآليف الكفريَّة ونتعجَّب انْ طبّاعًا ينتسب الى الطائفة المارونيّة تولّى نشره وشارك بذلك المؤلّف بكفره. كما يشاركهُ باعة هذا الكتاب وقرّاؤهُ دون رخصة من المفوّضين بذلك. فانّ قوانين البيعة تضرب بالحرم من يسعى بكتابة مثل هذه المصنّفات ومدحها في الجرائد ونشرها في الاسواق . وأملنا كل الامل من رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة ان يحذروا ابناءهم من قراءة هذا التأليف لئلا ينفث فيهم سمّهُ. فشتّان بين الرهبانيات والريحانيّات وشتّان بين خمر وخلّ.

مطبوعات شرقية جديدة

K. Jnostranzew Persidskaja literaturnaja tradizija w pierwije wicka islama. *S. Petrebury*, 1909.

تأثير آداب لغة الفرس في تآليف العرب في صدر الاسلام

لا يخفى على احد ممّن له المام بتاريخ العرب القدماء وآدابهم ما كان للدولة الساسانية من التأثير عليها في كل احوالها فقد تبيّن من ابحاث المستشرقين العديدة ما تبنّة الاسلام مع توالي الأيام من معتقدات قدماء الفرس وعوائدهم . امّا اراؤهم السياسية فتأثيرها قد تجاوز حدّ الدولة العباسية الى الدول غير العربية التي قامت على أنقاضها. فان كتاب « سياسة نامه » الذي ألّفهُ نظام الملك وزير الدولة السلجوقية الشهير ليس الّا مرآة التمدّن الساساني. لكنّ اشدّ ما كانت قوّة هذا التأثير في آداب اللغة العربية في القرون الاولى للهجرة ولا حاجة الى ذكر تقلّبات كتابَي « الف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » فان من المعلوم أن العرب اخرجوا هاتين الدرّتين الثمينتين من بحر آداب بني ساسان كما استمدَّها هؤلاء من كنوز الهند. ولم يكتفِ العرب

بهذين التأليفين بل ترجموا او لخّصوا في لغتهم عددًا من كتب قدماء الفرس في العلوم ولاسيما في الآداب والحكم والمواعظ. ولو راجعت كتاب الفهرست لابن النديم لوجدت فيه ذكر نيف واربعين مؤلفًا من هذا الصنف. ومع اتساع هذا الباب قلّما طرقهُ اهل البحث وهو لعمري مسلك وعر لان معظم تلك الكتب قد لعبت بها ايدي الزمان ولم يصل الينا منها إلّا النزر اليسير مع ما يستدل عليه من شواهد مؤلفي العرب ولذلك يجب على الباحث في هذا الموضوع ان يكون له الاطلاع الواسع والخبرة التامّة بقسم كبير من الكتب الادبية كتأليفات الجاحظ وابن قتيبة والبيهقي وابن مسكويه وكثيرين غيرهم. ولكن كل ذلك لا يجديهِ نفعًا اذا لم يكن له إلمام تامّ بآداب اللغة البهلوية فإن اسماء الكتب او المؤلفين في الفهرست المذكورة قد ذهبت بها ايدي الضياع وتصحّفت وتحرّفت بحيث لو رآها المؤلف نفسهُ لما عرفها الّا بعد تأمّل وفكر. وهذان الشرطان اعني سعة الاطلاع على المصادر العربيّة والمعرفة التامّة بالآداب الساسانيّة متوفّران في المستشرق الروسيّ قسطنطين إينوسترانسيف فانهُ خصّص قسمًا كبيرًا من تأليفاتهِ المديدة التي يقدّرها علماء اوربا حقّ قدرها التنقيب عن تأثير آداب بني ساسان في احوال العرب وآدابهم. وقد سبقت منهُ في هذا الموضوع ابحاث عن كتاب «آئين نامه» وعن اعتقادات الفرس في الزجر والفراسة حسب شواهد العرب ومن عيد النيروز عند بني ساسان ومن لعبة الصولجان وغير ذلك ممّا لا يسعنا تعدادهُ. وها قد رأينا بعين المسرّة تأليفًا جديدًا لهذا المستشرق الفاضل وجدنا فيهِ من آثار سعة المعرفة ودقّة النظر ما عهدناهُ في تآليفهِ السابقة. ولا يبعد ان يكون البحث الجديد اعلى منهُ طبقة بكثرة فوائدهِ. وهاك ملخّصهُ: بعد نظر اجمالي في احوال الدولة الساسانيّة واصلها ومتميّزاتها انتقل المؤلف الى البحث عن الاماكن التي بقيت فيها الآثار الادبيّة بعد فتح العرب والاشخاص الذين كانوا يعتنون بحفظها فبيّن بادلّة تاريخيّة عديدة ان نطاقها كان متّسعًا في بلاد طبرستان وخراسان ولاسيما فارس قلب الدولة القديمة. وساعد على حفظ هذه الآثار الثمينة الموبذون اي كهنة الفرس والحزب المعروف باسم الشعوبيّة. وتلك البقايا كانت منطوية على انواع عديدة بينها كتب التاريخ والعلوم والآداب والحكم. وقد دقّق النظر في ما كتبهُ ابن النديم في فهرستهِ من اسماء المؤلفين او المترجمين او الكتب وردّها الى الاصل مصلحًا كل ما فيها من تحريف او

تصحيف. ولم يكتفِ حضرة المؤلف بالبحث الاجمالي في هذا الموضوع بل دقّق النظر في تآليف الكتّاب الذين لهم شهرة خصوصيّة بمرفة آداب الفرس كابن مسكويه و... المقفّع وعمر بن الفرّخان وعلي بن عبيد الريحاني وكتاب التاج الذي ذكرهُ ابن قتيبة. وجاء كتابهُ على هذا الوجه خزانةً في هذا الموضوع وهو مذيّل بفهرس يسهّل استعمالهُ لكل من يريدهُ. وهنا فليسمح لنا الكاتب المجيد ان نستزيدهُ من الابحاث في هذا الموضوع وحبّذا لو اتحفنا بكتاب يجمع فيهِ كل ما تقرّر من تأثير الدولة الساسانيّة على دولة العرب من كل جهاتها فان المؤلف قد برهن في مقالاته العديدة على استعدادهِ التام للقيام بمثل هذا العمل. وقد جعل الكاتب تأليفهُ هذا تذكارًا لمعلّمهِ المرحوم البارون روزن ونحسبُ احسن مدحٍ للكتاب قولنا انهُ جدير بهذا العالم الذي هو شيخ المستشرقين في روسية

ا. كراتشقوفسكي

La Clé de la Conversation Abyssine. Vocabulaire, Phrases, Conversations, Verbes et Correspondance. Par le Chevalier **A. Raad** et **B. Ghaleb.** *Imprimerie Catholique, Beyrouth* (*Syrie*). 1910, pp. 288

مفتاح المكالمات الحبشيّة

نوّهنا في العدد السابق (ص ٣١٥) بوصف الكافليار عبد الله افندي رعد للّغات الشائعة في الحبش لاسيما الامحريّة التي هي اللسان الذي يتكلّم بهِ اهل تلك البلاد. فتسهيلًا لدرس هذه اللغة قد اتّفق جنابه مع احد المتاجرين في تلك الاصقاع فوضع كلاهما كتابًا صغير الحجم لطيف الصورة ضمّناهُ معظم ما يحتاج اليهِ المهاجرون الى الحبش للتكلّم بلغة اهلها كالمفردات والجمل والتعابير والمكالمات والمكاتبات وذلك باللغة الافرنسيّة والحبشيّة واضافا اليها صورة لفظ الحبشيّة بالحرف الافرنجي فنحضّ كل من يُعنى بدرس اللغة الامحريّة ان يحمل هذا الكتاب كدليل يرجع اليهِ في كل مشاكلهِ لعموم فوائدهِ. وهو مطبوع في المطبعة الكاثوليكية بالاتقان المعهود

Internationales Taschenbuch für Orientalisten. Herausgegeben v. **Rudolf Haupt.** 2er Jahrgang **1910**, *Leipzig*, 1910. XXXI-270. Mk, 4.80.

مفكّرة المستشرقين

نثني على همّة صاحب هذه المفكّرة الكتبيّ رودلف هوبت في ليبسك الذي رأى ما للمستشرقين من الطور العظيم في عالم الآداب فوضع لهم السنة الماضية كتابًا

يتّخذونهُ كوصلةٍ للتعارف والتعاضد. فصار لتأليفهِ رواج. وفي هذه السنة عاد الى طبعهِ وحسَّنهُ كثيرًا وضمَّنهُ كل ما من شأنهِ ان يزيد علماء الشرقيَّات تقرُّبًا وائتلافًا وقد افتتحهُ بملخَّص تراجم موتى السنة وألحق ذلك بجداول التواريخ التي يحتاج اليها المستشرقون يليها نظر في الحفريَّات والاكتشافات الشرقيَّة الحديثة وفي اثرها جدول المستشرقين وعناوينهم وقائمة الجمعيَّات الشرقيَّة والمجلَّات التي ينشرها علماء الشرق واسماء ارباب الامور في الدول الشرقيَّة. وجعل مسك الختام ٢٥ صورة شمسيَّة بديعة لمن توفَّاهم الله حديثًا من المستشرقين جزاهُ الله خيرًا

ل. ش

السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية

بقلم الفيكونت فيليب دي طرّازي (بيروت ١٩١٠ص ٤٨٢)

كثيرًا ما استنهضنا الهمم على درس التواريخ الشرقيَّة وجمع آثارها ورغبنا الى العارفين ان يتحفونا بسير الاسلاف الاماجد الذين زيَّنوا مفرق الشرق المسيحي الكاثوليكي بجليل اعمالهم وتفانيهم وعطَّروا انحاءه بعرف غيرتهم وفضيلتهم وتمنَّينا لو اطَّلع الخلف على ما احتملهُ السلف في سبيل الدين والوطن فيكون مثالهم عبرةً وقدوةً ولهذا نثني اطيب الثناء على همة الفيكونت فيليب دي طرّازي الذي اتحف طائفتهُ واتحفنا بهذا السفر الخطير وقد وصف حضرة المؤلف في مقدَّمتهِ ما عاناهُ من الاتعاب لضمّ شتات المصادر التي اخذ عنها قال:

« انَّ الاخبار المسوقة في هذا التاريخ قد التقطتها من كتابات مهجورة او رسائل منثورة او كتب حديثة وقديمة او كراريس مهملة.. او صكوك وبرآات الخ.. ثم قابلت بعضها ببعض لتفريق الغث من السمين والتوفيق بين تباين اقوال الكتبة الصادقين.. وزيَّنت الكتاب برسوم بعض الاساقفة التي اتاح لي الحظ ان اتوصَّل اليها.. »

وقد تتبَّع المؤلف سلسلة الاساقفة السريان الكاثوليكيين او المتكثلكين في ماردين واورشليم والموصل وبغداد وحلب وآمد ودمشق والجزيرة وحمص وحماة ومديات وطرابلس والرها وبيروت في هذه القرون الاخيرة نقلًا عمَّا يُوثق بهِ من النصوص الاصليَّة ذاكرًا تاريخهم وواصفًا اصلهم وعائلتهم واعمالهم فجاء كتابهُ مؤلَّفًا غزير الفوائد يقدّرهُ العارفون حقَّ قدرهِ وقد طالما نزيد الثناء على همَّة الكاتب الغراميَّ والبيروديات اللاحقة باخبار البطريركين اندراوس اخيجان وبطرس الرهاوي وهي من الآثار العزيزة

التي يصعب الحصول عليها. ولا شك ان اقبال القرّاء على مطالعة «السلاسل» يستحثّ المؤرخ النشيط على مواصلة العمل فيستحق الشكر والثناء من مريدي تاريخ الشرق عموماً وابناء ملّته خصوصاً ا. ر

كتاب الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم

الّفهُ الامام الاستاذ ابو منصور عبد القاهر... البغدادي المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م). وقف على طبعهِ وضبطهِ وتعليق حواشيهِ محمد بدر احد اعضاء الجمعية الملكيّة بايدنبرج ومحرّر بدائرة المعارف الاسلاميّة بليدن (هولندة). طُبع في القاهرة بمطبعة المعارف (ص ٣٦٠)

يسرُّنا ان ننظر لاوّل مرّة اديباً مصريّاً مسلماً يجري على مثال المستشرقين في نشر كتاب قديم. ولا غروَ فانَّ محمّد افندي بدر درس في المانية وحاز شهادات كلّياتها. ومما وقف عليهِ في مكتبة برلين الشرقيّة سفرٌ جليل لاحد كتبة القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح فاخذ رسمه بالفوتغراف وطبعه في مصر طبعاً متقناً وقدَّم عليهِ المقدّمات في تعريف الكتاب وفهرس اسماء المذكورين فيهِ على حروف المعجم. وهو مصنَّف مفيد جدّاً لتعريف اصحاب الشيع والمبتدعين في الاسلام وبيان اقوالهم وآرائهم الدينيَّة كتأليفَي الملل والنحل للشهرستاني ولابي حزم الاندلسيّ. ومع استحساننا لهذا الاثر كنّا احببنا لو نقل محمّد افندي بدر كما يفعل الاوربيُّون ترجمة مؤلّف الكتاب عن ابن خلكان وابن قتيبة ومعجم البلدان لياقوت ومن طبقات الشافعيين. وكذلك لم يُحسن الدلالة [ص (١) ٢٥] الى كتاب الحاج خليفة. ومما كنّا نتمنّاهُ لزيادة حسن هذه الطبعة بعض التذييلات والحواشي التي يحتاج اليها المطالع وان شاء الله يتمُّ كل ذلك في طبعة جديدة فيصير هذا الكتاب قدوةً لكل من ينشر اثراً قديماً ل. ش

كتاب الذمم في احوال الامم

للدكتور و. ف كرفنس عرّبه القس بشاره بارودي (المطبعة الاركانيّة في بيروت ١٩٠٩ ص ٦٤)

ان مؤلّف هذا الكتيّب قد طرق في صفحات قليلة ابواباً كثيرة وابدى احكامهُ الشخصيّة في كثير من المسائل الادبيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والتجاريَّة والتاريخيَّة الخ التي لا يتجرأُ العالم على حلّ بعضها الّا بعد طول النظر والمطالعة والتنقيب. ولذا تراهُ قد جمع في كلامهِ بين الصريح والغامض والصحيح والمشبوه والممكن والمحال والضروري والمقيد فاصاب احياناً المرمى واخطأهُ مراراً ولو اردنا نقد كلامهِ لكتبنا

مجلدات. ومما تاخذهُ عليهِ سكوتهُ عن اساس اتحاد الامم وترقيهـا وهو الدين القويم والمبادئ الادبية ومن عوامل المدنيَّة التي نشرت كنيسة المسيح الحقيقية لواءها في كل قطر وصوب حتى بين الشعوب الهمجية (١ كما ناخذ عليهِ تخصيصهُ بالاطراء البلاد التي نشأ فيهِ وتكلَّم بلغتها تاركاً ما لغيرها من الفضل على العالم في جانب العدل والانصاف والمؤازرة والخير العام. امَّا ما جُعل على هامش الكتاب من السؤالات التي علَّقهـا الكاتب او الناشر لتُعرض على الدارسين فيتناظروا في الجواب عليهـا ويتباحثوا فلا ندري ما نقول فيها لما نجدهُ في نصوصها من التطرُّف او الحكم السابق سماع الدعوى. ودونك مثلًا ناخذهُ عن الفصل الاول ايضاً. قال: « هل تأخُّر جنوبي اوربا مسبب عن احكام الإعدام الكثيرة التي اصدرها اصحاب السلطة وقت الاضطهاد؟ » فقد جمع في سطر واحد اربع او خمس قضايا تاريخية واجتماعية ودينية وادبية وغطَّاها برداء الايهام ولم يثبت ما يفهم بتأخر جنوبي اوربا ولا ما يريد بوقت الاضطهاد ولا بأحكام الاعدام الكثيرة فعرَض بهذه الاسئلة قرَّاءهُ الى الاوهام دون جدوى. وقس عليهِ الباقي ل. ر

المجالي التاريخية في ترجمة الراهبة هندية

الجزء الاول. بقلم القس بولس عبُّود الغسطاوي

طبع في بيروت في مطبعة الترقيق سنة ١٩١٠

تذكَّرنا بعد مطالعة هذا الكتاب اسم رواية حديثة للاديب امين افندي ظاهر خير الله دعاها « المرأة ملاك او شيطان » اي والحق وهذا التـأليف دليل جديد على صحة ذلك. على انَّ بعض النساء لا يبلغنَ قمر الاثم الَّا بالتدريج فيكنَّ في اول الامر سليمات النيَّة صادقات الفكر الَّا انهنَّ يَستسلمنَ الى بعض اهواء النفس الأمَّارة ويلقين اليها مقاليد امرهنَّ دون ان يجاهدنَ لقلعها من قلبهنَّ فيُضحين بعد قليل أسيرات للاهواء.

١) وقد احسن جناب الاديب عبد الوهَّاب افندي التبَّر بانتقادهِ على بعض مزاعم هـذا الكتاب (في الاقبال ع ٣٤١) كقولهِ مثلًا في الصفحة ١٤: « عُرض على جميع الملوك والدول ما عدا البابا والسلطان ان يمضوا معاهدة مبنيَّة على مبادئ مسيحيَّة نظمها القيصر » فاردف جناب المنتقد: « قال (صاحب الكتاب) انَّ هذه المعاهدة مبنيَّة على مبادئ مسيحيَّة فلهم المعذرة على عدم عرضها على جلالة السلطان بذاك الوقت لكن يا تُرى ما الذي حملهم على عدم عرضها على قداسة البابا اما هو مسيحي ومن الذين يتفانون بالمبادئ المسيحيَّة ترجوهُ التبيان... »

الباطلة مخدوعات بمخيلتهنَّ حتى يخلعن العذار ويومين كثيرين بشرّهنَّ . وهذا ما يلوح لنا من ترجمة الراهبة هنديّة التي يغلب على ظنّنا انها كانت في بدء حياتهــا صالحة ترغب حقيقةً في خدمة الله الّا ان المجد الباطل استولى عليها فارادت ان تنشئ اخويّة خصوصيّة رغمًا عن نصائح مرشديها الاوّلين الآباء اليسوعيين الذين لم يردّوها من فكرها الّا ليلطهم بآمالها المحرقة فأبت النصح وتركوا ارشادها وانتقلت منذ سنة ١٧٥٠ الى دير بكركي حيث لعبت ادوارًا عجيبة أدّت الى بذر القلاقل ونشر الفساد في كلّ انحاء لبنان الى أن توسّط في الامر الكرسي الرسولي وحسم الداء بقوّة بعد ان كاد يتفاقم فأيس من شفائهِ . والحق يقال انّنا بعد قراءتنا هذا الكتاب خُيّل لنا أنّنا حلمنا حلمًا او اصابنا كابوس مؤلم فلم نكد نصدّق مضامينه لولا الآثار المتعدّدة المثبتة بصحّة الخبر فرددنا مع بعض من قرأوهُ مثلنا يا ليت هذا الكتاب لم يُنشر فينكي ما اندمل من الجروح ل . ش

شذرات

﴿ المقتطف والاستاذ هكل ﴾ كنّا اخذنا على صاحب المقتطف في عدد سابق (ص ٢٣٨) سكوتهُ في مقالتهِ على الدرويني هكل عن مكر ذلك الكاتب وترويراتهِ الغريبة لتأييد رأيهِ بالكذب والبهتان وكأنّ غيرنا ايضًا نبّهوا فكر مدير المقتطف الى الامر فاقرّ بسذاجة في عدد نيسان (ص ٤٠٨) بخطإ ذلك الخداع وان لجتهد غاية امكانهِ في تخفيف ذنبٍ لو صدر من غيرهِ لشدّدت المجلّة عليه نكيرها . وعمًّا اعتذرت بهِ لتصرف اللوم عنها أنّها نقلت كلامهـا عن « سكلوبيذيا تشمبرس » المطبوعة ١٩٠٦ . وهو عذر اقبح من ذنب لانّ المجلات العلميّة لا يمكنها ان تجهل ما طنطنت بها المجلات منذ ثلاث سنوات حتى علم بالامر كل قرّاء الجرائد الّا مديري المقتطف !! ولا تظنّ ايها القارئ انّ اصحاب المقتطف كفّوا بعد هـذا عن قولهم في النشوء والارتقاء سواء كان على المذهب الدرويني او على رأي هكــل ودونك مثالًا جديدًا على لزومهم خطّــة الدهريين جوابًا على من سألهم هل يقضي مذهب النشو بان الروح مادّية فاجابوا :

لا يقضي مذهب النشو والارتقاء ان تكون الروح مادّية بالمعنى الذي تفهمهُ من المادّة (وماذا تفهمون من المادّة !) ولكن من العلماء من يذهب الى انّ ما ندركهُ بالحواس ونسبيهِ مادّة

هو حركة في جواهر المادّة الاصليّة (وما هي تلك الحركة الاصليّة؟) وحينئذٍ فلا مانع من ان تكون الروح مادّيّة والمادّة روحاً اي يكون الوجود شيئاً واحداً يتكيّف على كيفيات مختلفة فيصير هواء وماء وتراباً ومعدناً وشجراً وحيواناً ولا يستبعد العقل ان تكون الروح والمادّة من اصل واحد ولا يستبعد ان يكون التراب والورد والفرس من اصل واحد . . . .

وبينما يخلط المقتطف بين المادّة والروح قامت مجلّة الهلال فوضعت مقالةً مطوّلةً في عدد نيسان (ص ٤٠٢) لم تكتفِ ان تنكر فيها صحّة السبرتسم مع كونها دافعت هي عنهُ مراراً وفي اعداد المقتطف الاخيرة عدّة مقالات في ذلك بل انكرت ايضاً وجود الارواح فضربت بنوع آخر على نغمة المقتطف قالت وبئس القول الذي يردّهُ العقل والنقل معاً:

كل الاديان القديمة تقول بوجود الارواح . . وما زال الاعتقاد بوجودها عامّاً في الاجيال التاريخيّة حتى كانت النهضة العلميّة في التمدُّن الحديث واساسها العلم الطبيعي المبني على المشاهدة والاختبار . .

وقس عليهِ بقيّة المقالة التي عاد فيها صاحب الهلال الى سفسطتهِ السابقة وادّعى فيها انّ العلم ينكر ما تثبتهُ الاديان كانّ العلم والدين متناقضان !!

تتابع الاديان — وهاك دليلاً آخر على فلسفة اصحاب المقتطف في عدد مارس من هذه السنة (ص ٣٠٧) فهناك فصل عنوانهُ «تتابع الاديان» نُقل فيهِ عن الاستاذ سايس بانّ جبل موريا حيث قدّم ابراهيم ابنهُ للرب كان قبل الخليل حَرَماً دينيّاً وانّ في بلاد النوبة كان معبد لقدماء المصريين اتّخذهُ من بعدهم النصارى ثم المسلمون في اثرهم فاستنتج المقتطف من هذا التتابع انّهُ «قلّما ينشأ دين في مكان من الامكنة الّا واقتبس شعائر الدين الذي كان من قبلهِ في ذلك المكان» فيا لها من نتيجة لم نجدها في المقدّمات فكيف نسي اصحاب المقتطف قواعد المنطق وهم «دكاترة في الفلسفة» . معلوم ان جامع الامويين في دمشق كان قديماً كنيسة وكانت هذه الكنيسة هيكلاً للرومان قبل النصرانيّة أفيجوز لك ان تقول انّ الديانة التالية اقتبست من شعائر الديانة التي سبقتها وانّ الاسلام مثلاً اخذ في دمشق عن النصرانيّة كما ان النصرانيّة اخذت عن الوثنيّة . وعلى فرض انهُ وُجد شيءٌ من العادات الدينيّة متشابهاً بين هذه الاديان المتتابعة افيكون ذلك سبباً للقول بانّ الدين التالي اخذ من السابق وان يبني اصحاب المقتطف على هذا الاساس الضعيف بناء زعمهم الباطل الذي اشعروا فيهِ بتساوي كل الاديان في كونها جعليّات واختراعات بشريّة ؟

أسئلة وأجوبة

س وردت علينا الرسالة الآتية من احد مشايخ طرابلس ننشرها بالحرف :

«قد قالت احبارنا المسيحيون انَّ الاب والابن والروح القدس اله واحد ومن المعلوم بداهة انَّ الواحد غير قابل التجزّي فاشكل عليَّ امر الدفن هل دُفن المسيح باللاهوت والناسوت ام افترقا فان قلتم افترقا تكونوا حكمتم بان اللاهوت غير الناسوت وثبت انهُ اكثر من واحد وان قلتم بدفن الجهتين تكونوا حكمتم بدفن اللاهوت وهذا غير جائز»

هل دُفن المسيح باللاهوت والناسوت

ج يعلم كل النصارى انَّ وقت موت السيّد المسيح لم ينفصل لاهوتهُ عن ناسوتهِ بل كان اللاهوت في تمامهِ مع الجسد المقبور كما كان مع النفس المنحدرة الى مقام الابرار في الينبوس السفلي ايضاً بالجحيم ولا ينتج عن ذلك البتَّة انَّ اللاهوت دُفن لدفن جسد المسيح اذ لم يلحق اللاهوت اذًى بما حلَّ في الناسوت كما انَّ اللاهوت لم يأكل ولم يشرب ولم يمت لمَّا كان المسيح في طبيعتهِ البشريَّة يأكل ويشرب ويموت. اذ انَّ الاكل والشرب والموت امور مختصَّة بالناسوت دون اللاهوت ومثلها الدفن. وان احبَّ المستفيد ادراك ذلك في مقالة مطوَّلة فليراجع المقالات الدينيَّة التي نشرناها في المشرق لبولس الراهب اسقف صيدا وقد طبعت على حدة

س القى علينا احد الكهنة عدَّة اسئلة في الغفرانات وكيفيَّة استفادة الانفس المطهريَّة منها

فنقول بالاجمال انَّهُ من الامور المقرَّرة التي يثبتها اللاهوتيُّون بالادلَّة النقليَّة انَّ الغفارين التي تمنحها الكنيسة للمؤمنين تفيد النفوس المطهريَّة وتخفّف اوجاعها بعد الموت وتساعدها على التكفير عن خطاياها امَّا حدود هذه المنفعة واختصاصها وكيفيَّة انتفاع النفوس بها فكلّ ذلك منوط بعلمهِ وارادتهِ تعالى لا يمكننا ان نقطع بهِ ومن ثمَّ لا يمكننا ان نجيب السائل عنها

س وسئلنا متى جرت في الكنيسة صلاة التبشير ثلاث مرَّات في النهار

ج هذه الصلاة اوَّل من امر بتلاوتها القديس بناونتورا في القرن الثالث عشر فتقدَّم الى رهبان مار فرنسيس وهو رئيسهم بان يصلُّوا السلام الملائكي ثلاث مرَّات لاكرام سرّ تجسُّد ابن الله. ثم انتشرت هذه العادة بين المؤمنين لمَّا منح البابا يوحنا الثاني والعشرون غفراناً لمن يتلوها صباحاً وظهراً ومساء وذلك سنة ١٣٢٧ واوصى بها الاحبار الرومانيُّون والمجامع لاستدرار نعمهِ تعالى وردّ آيات غضبهِ ل٠ش